

العدد
18
ربيع الثاني 1432

ثورات الشعوب بين التأثر والتأثير

اجعلوها ثورة لله

انفذ على رسلك: ولا تلتفت

تعست الاستراتيجية وبئست المراجعة

أم مجاهد .. وجهاد أمة

أبو منمنم وأبو العباس الطائفيان



العدد الثامن عشر

ربيع الثاني ١٤٣٢هـ

الفهرس

من المحرر:

وثار البركان الرهيب

لو قيل لأحد من الناس قبل شهرين اثنين فقط إن الثورة سوف تنفجر في عدة دول عربية كبرى على رأسها مصر ستطيح بالأنظمة القمعية العميلة التي ظلت تحكمها طوال الستين سنة الماضية لاتهم القائل بالجنون والهذيان! فالأمة العربية كانت سادرة في غيها، لاهية ليلها ونهارها، لا يهمها إلا البحث عن قوت بطونها، تخرج من أزمة اقتصادية لتقع في أزمة غذائية، وتفيق من صدمة لتصدم بأقسى منها، ومن الاحتفال بافتتاح بطولة كروية أو رياضية (محلية أو عالمية) لترقص على قرعات طبول المشجعين المهووسين عقب انتهاء بطولة أخرى!

والحكام جهز كل واحد منهم ولده أو فرداً من عائلته لخلافته في رئاسة الدولة وكأن جميع الدول صارت ملكية وراثية بعد أن شدد قبضته على مفاصل الدولة وأركانها بأجهزته العسكرية والأمنية التي تعد على الناس أنفاسهم، وتسجل حركاتهم وسكناتهم!

وحتى ما تبقى من عرى الإسلام التي لم تنقض بعد كالصيام صار مسخاً لم يسلم من العهر الإعلامي الذي أفسد على الناس صيامهم بالنهار، وأضاع ليلهم فلا تراويح ولا ذكر لله رب العالمين، وهم يلهثون بين تمثيلية ماجنة فاجرة، ومسرحية مبتذلة ساقطة، وفزورة تخدش الحياء، وتدعو لنشر الفاحشة!

ثم يتجلى الرب تبارك وتعالى بعين رحمته ويفيض على الأمة بقبس من هدايته وتوفيقه، ويقلب الأمور ويسيرها كيف يشاء سبحانه لا كما يشاء هؤلاء الطواغيت أئمة الكفر، ويجعل من حادثة عارضة تتكرر من زمن بعيد دون أن يكون لها أدنى تأثير في تونس سبباً لثوران البركان العظيم الذي اقتلع عرشي اثنين من أطغى وأظلم وأفجر وأكفر حكام المنطقة، والدور قادم على بقية الطواغيت بدءاً من بقية دول شمال إفريقيا ومروراً بالخليج والشام بإذن الله.

فالكيس الكيس.. والنجاء النجاء.. والبدار البدار للالتحاق بركب الثوار وتحطيم القيود والأغلال، والتحرر من العبودية لغير ذي الجلال والإكرام.

والوحدة والتكاتف ونسيان أسباب الشقاق والانفصام بين أبناء الوطن الواحد حتى يفصل الله بينهم وبين عدوهم، فنعيد ترتيب البيوت، وتصحيح المسيرة، وتولية الأفضل والأتقى والأعلم على طريق عودة الأمة الإسلامية لسابق مجدها التليد، وتاريخها المجيد.

والله أكبر والعزة لله ولرسوله وللمؤمنين، ولكن يبدو أن الرويبضات حكام الخليج سيفقهون ذلك بعد فوات الأوان.

أتاهم من حيث لم يحتسبوا

الله أكبر كبيرا، والحمد لله كثيرا، وسبحان الله بكرة وأصيلا.

سبحان الذي بيده قلوب البشر يقلبها كيف يشاء، فمن كان يتصور أن تنقلب أحوال المسلمين في بعض الدول العربية خلال أسابيع قليلة رأسًا على عقب، وبدرجة ١٨٠ درجة، فمن مرحلة الشلل التام والرضوخ الكامل ورفع رايات الاستسلام لحكامهم وزبانيتهم إلى مرحلة البركان وإطلاق الحمم والشهب الحارقة ورفع رايات التحدي وإزاحة الكراسي واقتلاع العروش.

فالبداية كانت من تونس ثم مصر والآن جاء الدور على ليبيا التي دخلت مرحلة المخاض وإن كان عسيرا انتظارا للوليد المظفر، واليمن على وشك الدخول في مرحلة الغليان والتوحد خلف الثورة، ومرورا بسوريا والعراق والأردن والبقية تأتي، فاللهم أفرغ علينا صبرا، ووحد صفوفنا وأجمع كلمتنا، واحفظنا من كيد أعدائنا الداخليين منهم قبل الخارجيين، وأتمم لنا نورنا والنصر على عدوك وعدونا.

النصر قادم يا قوم لا محالة، والطوفان انطلق في مساره، فعلينا استكمال مقومات النصر والتمكين لتتنزل علينا الرحمة والسكينة وتثبت الأقدام وتتحقق الغايات.

وإن كان من كلمة تقال في هذا المقال فهي للشعوب الثائرة الفوارة التي قامت لاسترجاع حقوقها، وكف الظلم الكبير الذي لحق بها، ونيل شيء من كرامتها . وأيضا للشعوب الخاملة التي لم تفق بعد من سباتها وسكرتها، وتقف موقف المتفرج مما يحدث لإخوانهم في ليبيا واليمن على أيدي كلاب الأرض من حكام العمالة والنذالة وجلاوزتهم وعملائهم، وحتى الميليشيات الأفريقية الكافرة الذين يفسدون في الأرض ويدمرون ويحرقون ممتلكات الأمة ويسومون عامة المسلمين النكال والجوع والتشرد

والموت البطيء من الإصابة مع افتقاد الطبيب والدواء وغرف العمليات.
لقد أبرزت الأحداث المفاجئة في الدول العربية مؤخرا مدى العجز والهوان الذي وصلت إليه أمريكا بفضل الله سبحانه وتعالى ثم بجهود المجاهدين والمخلصين الذين استنزفوا قوتها ودمروا اقتصادها وأبادوا جيوشها وعساكرها وحولوا ترساناتها المسلحة إلى أكوام من الحديد الخردة الصدئ، ففقدت توازنها ووقفت عاجزة عن درء الثورات قبل انطلاقتها أو التحكم في مسيرها بعد الانطلاق أو توجيهها لما يحقق مآربها ويحفظ لها مصالحها فضلا عن التعامل مع الواقع الجديد وتحديد السياسة التي ينتهجونها للتعامل مع هذا الواقع في ظل تضارب المصالح الغربية والتفلت من تحت السيطرة والهيمنة الأمريكية على شعوب أوروبا والمنظمات الدولية.

ولذا نقول للثائرين على الطغيان الباحثين عن الحرية والكرامة وحقوق الإنسان: امضوا على بركة الله، ولا يهولنكم سقوط الضحايا أو الدمار الذي يلحق بالممتلكات العامة والخاصة وفقدان الكثير من ثروات الأمة التي كانوا محرومين منها، فهذه هي ضريبة الحرية وليكن شعاركم «قوموا الليل واستاكوا واستعدوا» فقيام الليل للصلاة والتهجد والدعاء في الثلث الأخير منه، وحراسة المكتسبات والمقدرات، والدفاع عن المدن والبلدات التي حررت، مع التلاحم والتكاتف وتولية الأصلح والأتقى لقيادة المسيرة واليقظة والاحتراز من خفافيش الظلام ولصوص الثورات وراكبي الأكتاف والأعناق بلا تضحيات ولتحقيق أجندات مشبوهات، واتباعا للسنة والسير على هدي السلف الصالح والاسترشاد بنهجهم للوصول إلى ما وصلوا إليه فالسواك نيل لمرضات الله وتطهيرا للفم للقاء الرب بأفواه طيبة، والاستعداد لرد العدوان واقتلاع جذور الشر من بلداننا بما يتيسر من السلاح، فالذي يقاتل للحفاظ على مكاسب دنيوية محرمة أو دفاعا عن أنظمة فاسدة ظالمة لا يثبت في المعركة مهما كان معه من السلاح والعدة، والفرس والروم خير شاهد على ذلك، أما الذي يدافع عن دينه وأرضه وعرضه بما يتيسر له تتنزل عليه الملائكة ويمده الله بمدد من عنده وينصره بالرعب ويفرق شمل عدوه ويجعل بأسه بينه شديدا، وأحداث ليبيا أيضا خير شاهد

على ذلك. وستكون العاقبة والنهاية للمتقين والمخلصين والصابرين من أبناء الشعب الأبي إن شاء رب العالمين.

وأما الذين يقفون موقف المتفرج من الشعوب الخاملة الساكنة فنقول لهم: سيأتي عليكم الدور وستواجهون نفس الموقف وتفتقدون النصير إن لم تنصروا إخوانكم وتجبروا حكوماتكم على التحرك لتقديم الدعم العاجل والكافي لهم وتسيير القوافل والجسور الجوية لإنقاذ إخواننا في ليبيا بدلا من إرسالها لليابان صاحبة ثاني أو ثالث أكبر اقتصاد في العالم. ولا يتعللون بعدم القدرة على إيصال المساعدات للمحتاجين في غرب ليبيا أو شرقها أو جنوبها. فالحدود الليبية ممتدة ومفتوحة من جميع الجهات والنظام الليبي المتهالك لا يستطيع منع وصول المساعدات إن صدقت النوايا وصدق العزم. وأمَا كان من الأولى قيام هذه الحكومات العميلة باستئجار السفن والطائرات لترحيل النازحين المعلقين الفارين من ليبيا بدلا من قيام الدول الكافرة بذلك؟

إن الدعم الإعلامي لنظام القذافي المجرم من قبل بعض الأجهزة الإعلامية العربية وتضخيم قوته العسكرية لن يمنع سقوطه الوشيك بإذن الله. ولن يغير الواقع على الأرض. وانتظار الأمم المتحدة أو مجلس الأمن لاستصدار قرار بحظر الطيران الجوي للمقاتلات والمروحيات العسكرية الليبية وقيام حلف النيتو بتنفيذ هذا الحظر لمنع النظام الليبي المجرم من ارتكاب مجازر رهيبة في حق المواطنين وثروات ليبيا النفطية والاكتفاء بالموافقة على ذلك بعد طول انتظار وكأن الدول العربية التي تنفق عشرات المليارات سنويا على تحديث قواتها الجوية وأجهزتها الدفاعية وأجهزة الاتصالات وبما تمتلكه من طائرات حديثة لا نشاهدها إلا في العروض العسكرية الاحتفالية وكان آخرها احتفالات الكويت بعيد استقلالهم ولنا أن نتساءل: أين «الصقور» و«النسور» الذين رأيناهم في ذلك الاستعراض؟ ولماذا تقف هذه الجيوش عاجزة عن مواجهة وتحييد الأسطول الجوي الليبي القديم المتهالك وإيقاف جرائمه وحسم المعركة؟

والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون

ثورات الشعوب بين التأثر والتأثير

الشيخ: أبو يحيى الليبي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه:

فمما لا شك فيه أن الأحداث الجارية المتوالية في عددٍ من الدول العربية تُعدُّ نقلةً نوعيةً في مسيرة الشعوب، وما ذلك إلا لأن هذه التغيرات المفاجئة والكبيرة قد وقعت بجهود تلك الشعوب أنفسها والتي ظنَّ الكثيرون من حكام دولهم ومسانديهم من الغرب أنها قد تذلَّلت وخنعت وخضعت واستسلمت وتكيفت مع الواقع فليس ثمةَ ما يخشى من جانبها، وأن كلَّ فكرة أو تجربةٍ تخطر على بال الحاكم أو يمليها عليه أولياؤه يمكن تطبيقها بكل يسرٍ ومن غير اعتراض ولا امتعاض، وأن انتفاضة الشعوب في وجه حكامها لا يُتصور حتى في أضغاث الأحلام، وأن ما قد يقع من ردة فعل معارِضة فهي لا ترقى إلى حد التخوّف والانقلاب والانفلات والتمرد، وإن كان هناك شيء من التوجس فلم يكن قطعاً قد خطر على البال أن يصل الأمر إلى هذا الحدِّ من الاصطلام والتجرؤ والاندفاع الذي تولَّته الشعوب وصبرت عليه واستسهلت كلَّ صعبٍ فيه حتى أطاحت بأعظم أوتاد الطغيان وأكبرها تجبراً وبطراً ابتداءً من تونس ثم مصر والآن في ليبيا واليمن، وبما أن الأحداث من الجسامة بمكان وأن سيلها الجارف مندفع بقوةٍ نحو (التغيير) إلى المجهول بإسقاط الأنظمة كان لا بد للمجاهدين أن يُدلوا بدلوهم فيها ويظهروا شيئاً من مواقفهم تجاه ما يجري بحيث يحافظون على ثوابت مسيرتهم الجهادية المباركة مع الاستفادة قدر الإمكان

مــن هذه التغيرات الكبيرة المتوالية فلا تفوتهم الفرص الســانحة ولا ينجرفون وراء صرخات التغيير باندفاعٍ وانفعالٍ وحماسةٍ من غير تثبُّتٍ واستبصار.
فإنني أرى أن الأحداث التاريخية الكبيرة -كالتي تجري اليوم-كما أنها تكون مشتملةً على جوانب إيجابية واسعة ومتعددة يمكن الاستفادة منها واقتناصها، فهي كذلك أيضــاً قد تكون ســبباً في تحريف كثير من المفاهيم والتســاهل فــي ابتلاع أنواع من الطعــوم القاتلــة التي تأتــي على أصول المناهــج وقواعدها من أساســها، وصخبُ الأحداث الكبرى ربما يكون بيئة مناســبةً لميلاد الأفكار المنحرفة والمناهج المُلَفَّقة كلُّ ذلك بسبب تأرجحها بين شدةِ تأثيرها وقوةِ جاذبيةِ تياراتها ومساراتها وبين محاولة التمســك بالأســس والأصول الأولى التي تقــوم عليها الحركات؛ إذ تبدو وســط ذلك التيار بصوتها الخافت الضعيف عديمة التأثير فاقدة المفعولية أو ربما يُستشعر بأنها مــن (المعوقات) التي يجب تجاوزها وإزاحتهــا وإيجاد المخارج من قيودها فيتولَّد من هذا المزيج المتذبذب فكرٌ جديدٌ ملفَّق يساير الأحداث مدةَ فورانها وثورانها ووقتَ نشاطها وتفاعلها فما تلبث أن تهفتَ وتضعف -كما هي السنن - حتى يجد أصحاب الأفكار (المتأرجحــة) أنفســهم مضطريــن إلى البحث عن عُمَــد تأصيلهــا وأدلتها بعد أن يكتشــفوا أن مفعــول (التلفيق) كان مؤقتاً وتأثيره محــدوداً وأنه -وبعد غياب بيئته التي ولد فيها - قد أصبح عديم الصلاحية فما الحلُّ آنذاك؟!
وهي من هذه الحيثية شبيهة بالفتنة العمياء الصمَّاء البكماء التي تحتاج إلى التثبت والبصيرة والأناة حتى لا تزل الأقدام بســرعة الإقدام، ولا تتورط الأقلام بترسيخ أوهام الأفهام، فيُكتشــف بعد حــينٍ أن ضجيج الأحداث قد انقضى وولــى وفُقِد معه كلُّ شــيءٍ، وذهبت جهود سنين في بضعة أشــهر، وتلك هي صفقة المغبون، فلا الأصول والمبادئ تم المحافظة عليها والتمســك بها ولا الأحداث أمكن الاستفادة منها واغتنام مجرياتها.
إذاً فليكن المقصود هنا واضحاً ومحدداً وجلياً، ليس للفهم الســقيم فيه منفذ، ولا للتحريــف إليه مجــالٌ، فلا أحدَ منا يدعو إلى إغماض الأعــين عمَّا يجري من تغيرات

كبيرة في بلداننا. ولا إنكارِ الفوائد الجليلة التي تحصَّلت عليها أمتنا في المناطق التي انتفضت فيها بثوراتها بل وفي غيرها. ولا الانعزالِ في الصوامع والشِّعابِ والابتعاد التام عن متابعةِ ما يحصُل والمشاركة المنضبطة فيه. بل المطلوب من المجاهدينَ في سائر الساحات هو أن يتقنوا الولوج للأحداث محافظين على جهادهم ومبادئهم. وأن يحذروا من تسلل شيءٍ من (المفاهيم) المعوجَّة إليهم في غمرة الانشغال والانفعال مع التغيرات الكبيرة المتسارعة المبهِرة. وأن تكون مرتكزات مسيرتهم راسخةً في أذهانهم مصقولةً في تصوراتهم. وأن يكون هَمُّ المحافظة عليها وصيانتها وتدعيمها وزيادة ترسيخها فوق كلِّ شيءٍ.

فأهم ما يجب أن يُعلَم لدى المجاهدين خصوصاً. والمسلمين عموماً أن الحرياتِ والسعةَ والانفتاحَ الذي نالته الشعوب الثائرة ضد طغاة بلدانها إنما ظهَر حُسنه وأبهر الناظرينَ واستُشعِرت حلاوتُه بمقارنته بالحقبة السوداء النكداء الخانقة التي كانت تعيشها تحت وطأة الرأي الواحِد والطغيان المضاعَف والظُّلم العامِّ. فهي خرجت لتوِّها من سراديب الدكتاتورية ووَلِدت من رحم الاستبدادِ المطبَق الذي بلغت معه الشعوب حدَّ الغرغرة وكادت تلفظ أنفاسها من شدة الكبت وقوانين التقييد وضروب التجارِب فكيف لا تستشعر بعد هذا نَسِيم ما انتقلتْ إليه وظفِرت به. وكيف لا تخرج تركض وتركض بعد أن كانت ترسف في أثقال القيود داخل جدرانِ المراقبةِ والمتابعةِ والتجسس لعدِّ الأنفاس. ولكن هل حقاً نالت تلك الشعوب الغاية والكمال من الحريةِ والراحةِ وليس وراء فرحها فرح. ولا فوق انطلاقها انطلاق؟

إنني أشبِّه ما جرى ويجري اليوم عند شعوبنا المقهورة المظلومة. بشخصٍ سجينٍ كان منذ أمدٍ بعيدٍ مكبَّل الأيدي والأرجل داخل غرفةٍ انفراديةٍ ممنوعٍ فيها من الكلامِ لا يرى من النور إلا خيوط أشعةٍ رقيقةٍ تخترق أحياناً ثقوباً في نافذتها الصغيرة ثم ما تلبث أن تختفي. فطال أمد هذا السجين المسكين وقد أصابه الإحباط وأحاط به اليأس واجتمعت عليه ظلماتٌ ثلاث: ظلمة السجن والغرفة والهموم!. وهو يتتبع أماني النفس ويتخيَّل نفسَه وسطَ جمعٍ من الناسِ في سجنٍ جماعيٍّ له قدرٌ كبيرٌ

من الحرية يتحدَّث مع (أصحابه السجناء) يصلى معهم جماعةً يتحرَّك داخل غرفته برجلين طليقتين من القيود، ثم يفيق من أوهام الأماني ويستيقظ من غطِّها ويعلم أنه ما زال في تلك الغرفة البئيسة وحيداً عاجزاً مُبلساً، وفجأةً انتقل ذلك السجين من حالته الكئيبة وانفراده القاتل ووحشته المُرعِبة إلى غرفةٍ جماعيةٍ ضمَّته بعددٍ من (السجناء الأحرار) داخل زنزانتهم المتسعة فرأى النورَ، وتكلَّم مع رفقائه متى شاء، وصلَّى معهم جماعةً، ودارَ معهم وسطَ غرفته الجديدة برجلين طليقتين من القيود، فعندها ذاق طعم الحرِّية وعرَف قيمةَ الاجتماع وتلذذ بكلامه مع (إخوانه السجناء)، فكان كلما تذكر غرفته المظلمة ووحدته الموحشة شعَر أنه لا أحدَ أنعمَ منه ولا حرية فوق ما هو فيه وقَصرَ مقارنته بين ما كان عليه وما صار إليه وشتان شتان ما بينهما، (فداخل الغرفة الجديدة) الضوء موجود، والكلام مسموحٌ به، والحركة والدوران ممكنٌ، إلاَّ أن حقيقةَ حالِه الذي لا يمكن أن تُغيَّبَ أو تُدفَنَ هو أنه لا يزال سجيناً بكلِّ ما يحمل هذا الوصف من معنىً وإنما أقصى ما حصل معه أن انتقلَ من سجنٍ إلى سجنٍ أرحبَ منه، ولكن وراء هذا السجن ما هو أكمل حريةً، وأفسحُ مجالاً، وأطيبُ عيشةً، وألذُّ حياةً، وآمنُ مكاناً، وأكثرُ رفقةً، بعيدٌ كلَّ البعد عن الكدر والتنغيص.

هكذا يجب أن نقوِّم الوضع الجديد الذي آلت إليه الأمور بعد الانتفاضات الشعبية وبهذا الميزانِ نزنها، وأن لا ننسى أبداً أن المطلب الأول والأساس الذي لا يُقبلُ إسقاطُه ولا إغفالُه ولا والتغاضي عنه ولا التهاونُ فيه ولا الاستحياء من الدعوة إليه-هو إقامةُ حكمِ الله تعالى الحقِّ كاملاً غير منقوصٍ، والسعيُ الجادُّ الصادقُ لبلوغ هذه الغايةِ، وأنَّ كلَّ حكم سواه - مهما ازيِّن في أعين الناظرين - لا يعدو أن يكون في الوصف الشرعي الخالص (حكماً جاهلياً)، وأن جاهليته الخادعة المموِّهة ستظهرُ بوجهها الكالح عند مقارنته بصفاء وجلاءِ نورِ شريعة الإسلام النقيَّة، قال الله تعالى: {أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ} [المائدة: ٥٠]، وقال الله تعالى: {ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ

الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ} [الجاثية: ١٨]. فالدعوة الآن ينبغي أن تنصبَّ وتركِّز على معنيين وتجلِّيهما تجليةً لا خفاءَ فيها وهما :

الأول : هو ما ذكرتُه، من أنَّ كلَّ نظام أو حكمٍ أو شرعٍ سوى حكمِ اللهِ وشرعه فهو جاهليٌّ لا وصفَ له إلا ذاكَ. نعم ..ليكن تعريف الشعوب بهذه الحقيقة بالرِّفق واللين والحسنى والحكمةِ، ولتخاطَب بما يوصل إليها هذه المعنى ويحصِّل المقصود. ولكن ما ينبغي أن يُتجنَّب ويحذرَ منه هو الخلط بين الحكمة في الطريقة والأسلوب والوسيلةِ والتمييع للحقائق والمسلَّماتِ، فلا يُدخل هذا في ذاك، فبعضُ الحقِّ قد يُسكتُ عنه في موطنٍ ما أو يؤخَّرُ ذكرُه أو يُخصُّ به ناسٌ دونَ غيرهم أو يخاطبونَ ببعضه كلُّ ذلك بحسب ضوابط الشرع وقيوده لا باستحسانات العقول وميول الأهواء والتقديرات الارتجالية -أما أن يحرَّف الحق الثابت أو يُحقَّ (يُجعَل حقاً) الباطلُ ويُلبسَ على الناس دينهم ويكونوا معه في أمرٍ مريجٍ فهذا ما لا يجوز بحالٍ؛ فلئن كانت الشعوب الإسلامية بثوراتها وانتفاضاتها قد حققت مكاسب دينية ودنيوية -ولو عظمت وكثُرت- واستعادت كثيراً من حقوقها المسلوبة وخرجت من رَهق الاستبداد الأسود فإنَّ هذا الخيرَ المحقَّقَ يذكرُ ويحفَظُ ويُقرّ ولكن ليبقَ في مستواه ومنزلته ولا يُتخذ ذريعةً للبس الحقِّ بالباطلِ ولا تزكية ما يستحق الذمّ من الشرائع والقوانين والأنظمة.

الثاني : التأكيد على أن كلَّ نظام وشريعةٍ سوى شرع الله تعالى هو محلُّ الأكدارِ، ومنبعُ الضنكِ والهم والغمِّ وجالبُ الشقاء والعناء، وهذه الحقيقة لا مريةَ فيها إلا عند ضعاف الإيمان أو معدوميه، أما الاسترواح الذي تناله بعض الشعوب تحت مظلة (الديمقراطية) إنما هو موهومٌ أو مؤقتٌ أو في شريعة الإسلام ما هو أنقى وأوفر وأزكى منه، والأمر الذي يجب أن يقطع به ولا يُتردد في ذكره أن شعوبنا الإسلامية المُجهَدة بتجارب الأفكار والنظريات لن تنال راحتَها وحريَّتها الحقيقية التامَّة ولن تذوق طيب حياتها إلا تحت مظلة الشريعة الإسلامية الصافية النقية، وسينالها من نقص هذه المعاني القيِّمة بحسب ما يغيب عنها من الشرعِ كما قال تعالى : {مَنْ عَمِلَ

صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [النحل: ٩٧]، وقال تعالى: {فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى * وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى} [طه: ١٢٣، ١٢٤]، وقال عز وجل: {وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا * لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا} [الجن: ١٦، ١٧]

ونحن نعلم أن رحلة التعريف والتبيين هذه ستستغرق وقتاً وتستهلك جهداً وتفني أعماراً وهذا أمرٌ لا بد منه في تغيير الأمم وتوعيتها، لا سيما مع قيام المعارض ممن يحسِّن الباطل ويقبِّح الحق ويسفِّه القائمين عليه، فهو محتاج إلى جهدٍ مضاعفٍ ما بين بيان الحقِّ مجرَّداً في ثوبه البهي النقي ثم دفع شبهات الباطل عنه وإزالة تلبيسات أهله التي ينفِّرون بها الناس ويصدونهم عن سبيله، ومن تأمل القرآن وما فيه من تقرير الحقِّ وتجليته ثم دفع ما يثيره أعداؤه من الشبهات ويلصقونه به من التشكيك وجدَ هذا الأمرَ واضحاً فيه : {أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ} [الرعد: ١٧]

فالأمر محتاجٌ إلى مزيدٍ من الجهدِ الدؤوب ولا ينبغي التوقُّف ولا الضعف والارتخاء والقنوع بالحالِ، فإن هذه الأحداث هي خطوةٌ كبيرةٌ مهمَّةٌ متقدِّمةٌ خطتها الشعوب نحو تحقيق الهدف المنشود (ويكون الدين كله لله) الذي يجب أن يكون نصب عينِ كلِّ مسلمٍ لا يُقيلُ فيه ولا يَستقيل، بل يستفرغ طاقته ليكون له دورٌ في بلوغه.

وبغض النظر عن الأسباب التي اجتمعت وأدت إلى وقوع هذه (الجرأة) من الشعوب، وهل كان لأعمال المجاهدين وتحريضهم على مر السنين الماضية دورٌ فيها، فإنّ ذلك استغرقَ وقتاً طويلاً من الزمن كانت المياه فيها شبهَ راكدة، والشعوب خامدة جامدة، وليس ثمةَ بوادر بينة لأية عاصفة تغيير سريعة -أي تغيير كان- حتى حصل ما حصل ووقعت الوقائع، والمجاهدون طوالَ هذه المدّة كأنهم ينحتون الصخر بأظافرهم

في مســألة إقناع الناس بخلع الحــكام، فالواجب عليهم الآن هــو التركيز على دفع الشــعوب إلى الأمــام وتعريفها -وبتركيز واهتمام واســتمرار وإتقان ورفق- أن عليها خطوات أخرى لا بد أن تقطعها، وأن ما وصلت إليه وما نالته ليس هو المنتهى والغاية القصوى، ولنحذر تمام الحذَر وسَــط أفراح التغيير أن نرضى بالوقوف عند ما استقرَّت عليه الأمور بل لا بِد من مواصلة السعي لرفع مستوى الأفهام والأعمال لتبلغ المنتهى الذي لا يرضى الله بشــيءٍ ســواه، فكلنا يقطع أنَّ ما سيستقر به الأمر الحاليُّ -وإن كان في فحواه كثير من الخير والمكتسبات للمسلمين- إلا أنه في حقيقته ومضمونه ليس ســوى نظام طاغوتي جديدٍ ســتتعايش معه الأمة مدةً ويُلهيها الفرح به زمناً ثم تبدأ آلام (الضنك) الحتمية والناجِمة عن الإعراض عن الذكر تدب في جســم الأمة لتشعر بها بعد حين، ثم تبحث عمَّا يسكِّنه أو يزيلُه.

فقد جرَّبت الأمة الإسلامية المقهورة الكينونةَ تحت حكم قادة الانقلابات العسكرية بخطاباتهــم الناريــة، وتحدياتهم العنتريــة، ومواقفهم (البطوليــة!)، وانتصاراتهم المصطنعــة، وهامــت معهم في تلــك الحقبة ومجَّدتهم وعظمتهــم ودخل حبُّهم ســويداءَ قلوبهــا فمــا لبثت أن انقضــت تلك الفترة الســوداء واكتشــف كثير من الأمة بعدها أنها عاشــت على الأوهام والأحلام، وسِيستْ بالمخادعاتِ وإثارة العواطف والحمــاس، وأن القــادة الأبطــال لم يكونوا ســوى خونة عملاء وعبيدٍ أذلاء تســلطوا عليها مســتغلِّين نشــوة فرح الأمة بخروجها من ربقة الاحتلال الخارجي ونجاتها من مخالــب الاســتعمار وأنيابه الذي مزق جســدها وقطع أوصالها وقــاربَ على طمس هويتها فأســلمها أولئك (الأبطال الثوريون) لأعدائها مــرةً أخرى وبصورة أخبث فما أن اكتشفتهم حتى لعنتهم ولم تغنِ لعناتها شيئاً، ثم جاءت حقبة (الديمقراطية العربية) بحرية تعبيرها العرجاء، وأحزاب معارضتها الهُزَأَة، وانتخاباتها لرئيســها لا لرؤســائها، حيث لم يقع أن تغيَّر رئيس أو ملك أو أمير وتخلى عن كرســيه ومنصبه عبر صناديق الاقتراع، بل كانت انتخاباتهم كالطرق على المســمار لا يزيده إلا تعمُّقاً ورســوخاً وثباتاً، فكانت أيام (الديمقراطية العربية) أشد وأنكى على الأمة مما سبقها

فذاقت بسـببب التعبير الموهوم والمموه عن حرياتها من التنكيل والتشريد والتعذيب ما هانَ معه خطب ما رأته في سـجون الأبطال الثوريين، وأصبحت معارضة (الرئيس المنتخب!) جريمةً مغلَّظةً يؤخذ عليها بالنواصي والأقدام، هذا والأمة تحاول أن تتكيف مع هذه (الديمقراطية) وتقنع نفسـها بشـيءٍ من جدواها، فمـا تَقطع مرحلةً حتى تدركَ أن الأمر يوغِل ويتمادى في الاسـتبداد، و(الضنـك) يتضاعف في دينها ودنياها، حتى إذا طال عليها الأمد وملَّت الانتظار ولم يبدُ لها في الأفق بوادرُ تغييرٍ ولا إصلاحٍ واكتشـفت كذب وبهتان ودجل تلك (الأنظمة الديمقراطية) وعرفتها على حقيقتها ليـس من جهة قربها أو بعدها من الإسـلام فحسـبُ وإنما من جهـة صدق أو كذب تبنيهـا للديمقراطية الحرة -انطلقت أخيراً شـرارات الانتفاضات والثورات الشـعبية ضد هذه الأنظمة وهي تطالب بتغييرها مع رفع شـعارات تعبر عن بالغ التسـخط والتذمـر والكبت والخنق الذي كانت تعيش تلك الشـعوب تحتـه، والآن جاءت مرحلة (الديمقراطية الغربية) لإعطاء حريات أوسع للشعوب-وقطعاً لن تنالها على الطريقة الغربيـة- وتفريغ الشـحنة الكبيرة التـي تتدفق من أعماقهـا، ومحاولة توظيفها وتوجيهها لتُبعدَ من كلِّ تغييرٍ عليه (مسـحةٌ إسلامية)، ولا بأس بعهدها بأي نظامٍ يُظـلُّ الشـعوبَ ويُحَكِمُ بـه، فالغرب لا يعنيه فـي أي تغييرٍ إلا تحقـق أمرين لا يقبل المساومة عليهما بحالٍ :

أولهما : أن لا يكون هذا التغيير إسـلامياً خالصاً، يقوم على ركائز الدين والذي يعني الاسـتقلال التام في السياسـات والقررات وبناء العلاقات، وقد قال الله تعالى: {وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ} [البقرة: ١٢٠].

وثانيهما : التيقُّن من الحفاظ على المصالح الغربية في المنطقة سواء كانت اقتصادية أو مالية أو سياسـية أو عسـكرية، وبالطبع يتبع ذلك عدم التعرُّض لوليدة السفاح (إسرائيل).

وبناءً على التغيرات الجديدة في العالم العربي فإن الأمة الإسـلامية ستعيش حقبةً أخرى تسعد في أولها وتنتشي بشيءٍ مما حققته من خلال ثوراتها، وتستلذُّ بما نالته

من حرياتها تحت مظلة الديمقراطية الفتية؛ لأنها ستبقى تقارن بين ما كانت عليه إبان حكم الطغاة المستبدين من (الدكتاتوريين الديمقراطيين) وبين ما آلت إليه من الانفتاح الواسع والحريات المتعددة والأمن المبسوط والعدل النسبي، وقد لا تحسب أن هناك ما هو خيرٌ مما هي فيه ولا أفضل مما وصلت إليه خاصةً إذا ظنَّت أنه لا تعارض بين الإسلام وبين ما تعيشه بل هو هو، وهذا ما يعني أن واجب التوعية والتعريف ينبغي أن لا يتوقف، ولا يترك الأمر للتجربةِ والانتظار والاختبار فتُقطع أعمارُ أجيالٍ أخرى ويُترقب حتى يأتي (شبابٌ جُدُد) ينتفضون مرةً أخرى في وجه الديمقراطية التي ستكون آنذاك باليةً قديمةً ليبحثوا عن الراحة والحرية التغيير والتجديد والذي لن يكون على والوجه الأكمل والأزكى إلا في دين الإسلام، ولتعلمنَّ نبأه بعد حين!

بيدَ أنه - وبحسب وجهة نظري- فإن أكبر وأهم ما في هذه الأحداث ليس هو مجرَّد إسقاط تلك الأنظمة والتغير الذي حصل بعدها، فذلك -مع أهميته البالغة- لا يعدو بمقياسنا الشرعي الصِّرف إلا أن يكون (ذهب طاغوت وجاء طاغوتٌ!)، وحنانيك بعض الشر أهون من بعضٍ، ومن الشرِّ ما تختار، ولكنَّ الأمر الكبير في هذه المجريات هو تحطُّم حاجز الخوف الذي عاشت تحت وطأته الشعوب عقوداً طويلة ثم تجرؤها بشكل سافرٍ ومكشوفٍ على تلك الأنظمة التي تعرف وتستيقن مدى بطشها وطغيانها واستماتتها في التمسك بعروشها، ومواجهتها لأجهزتها القمعية المتوحشة وتحملها للقتل والاعتقالات والإرهاب وتعاضدها وتناصرها لتحقيق أهدافها، فإن تلك الأنظمة المجرمة لم تتمكن من قهر الشعوب وتدجينها وإخضاعها لسياساتها -وهي لها كارهة- إلا بأجواء الإرهاب والإرعاب الذي كان المواطن يشعر معه أنه مستهدف ومطلوبٌ ومراقبٌ ومغلوبٌ على أمره أينما كان، وليس هناك أية جهة يمكن أن يركن إليها ليستقوي بها فالكل ظلمٌ في ظلمٌ وتنكيل في تنكيل، ولم يكن ما تتخوفه تلك الشعوب من تنكيل حكوماتها بمعارضيها شيئاً متخيلاً أو متوهماً فهي ترى ذلكَ أمامها رأيَ العين، حيث السجون المكتظة وأساليب التعذيب البشعة المتنوعة وغياب العدل وانتشار الرشاوى وتسلط غلاظ الأكباد قساة القلوب، وقيام كل أجهزة

الدول على أساس واحدٍ لا غير وهو المحافظة على (الحاكم) تحت شعاره (من القصر إلى القبر!) . فلا ترد تلك الأجهزة العتيدة له طلباً ولا تراجعه في أمرٍ ولا تستعظم شيئاً جاء من قِبله ولو كان إبادة الشعب كلّه.

فتحطّم حاجز الخوف الرهيب الذي كانت الشعوب تقاد به وتذلُّ بسياطه وتجُرُّ بِرَسَنِه هو أهمُّ شيءٍ في هذه الثورات، ومن أجلِّ المكتسبات، وليس معنى هذا الاستهانة أو التقليل من باقي ما تحقّقَ في ثوراتها، فهذا شيء لا يُنكَر ولا يستهان به أيضاً، ولكنَّ المقصود أن البابَ الذي استطاعت تلك الشعوب المرعوبة الدخول من خلاله لتحصيل مكاسبها وتحقيق مطالبها هو استئصالها لأشد وأعتى جنود تلك الأنظمة الإجرامية ألا وهو (الرُعب)، حيث أصبح معه مسألة (الخروج على الحاكم وخلعه وتنصيب غيره) أمراً ممكناً مجرَّباً وربما مغرياً أيضاً، فبهذا تكون الشعوب قد قطعت خطوات متقدّمة للخروج من الشّراك القاتل: «حب الدنيا، وكراهية الموت»، والذي كان سبباً في وصف النبي صلى الله عليه وسلم لِمن غَلب عليه بأنه : «غثاء كغثاء السيل»، والنجاة من هذا الشّراك ليس بالأمر الهيّن، وتمزيقه أيضاً يُعدُّ مكسباً عظيماً جداً جداً لِمن أحسنَ الاستفادة منه وأتقن توظيفه.

فالمطلوب هو التفكير الجاد العميق المثمر في كيفية الاستفادة العملية لاستثمار أجواء الشجاعة والجرأة والتحدي والاندفاع التي تعيش هذه الشعوب نشوتها خلال هذه الفترة، لتُوجّه معها إلى التغيير الحقيقي الذي نرنوا إليه وهو إقامة حكم الله تعالى، من غير فوضى ولا ارتجالٍ ولا سطحيةٍ أو تخليطٍ حتى لا تكون النتائج عكسيةً، أو على الأقل الإبقاء والمحافظة على حالةِ القوة النفسية ونَفَس التحدّي وعزيمة المواجهة التي وصلت إليها الأمة كي لا تعود إلى نقطة الصفر (حب الدنيا وكراهية الموت) والتي كانت ضريبتها طوالَ العقود الماضية ما علمه القاصي والداني.

والله ولي التوفيق.

اجعلوها ثورة لله !

أبو الفضل المصري

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ثم أما بعد.

فلم يدر في خلدي وأنا أكتب مقالتي بعنوان «دعوة للثورة في زمن الطغيان» في عدد رمضان الماضي والتي تحدثت فيها عن أمنيتي في خروج الشعب المصري عن بكرة أبيه في ثورة ضد النظام العسكري الحاكم المتسلط على رقابه منذ قرابة الستين عاماً. لم أتوقع أن يحقق الله تلك الأمنية العظيمة وهذا الحلم الجميل بهذه السرعة وبهذا الطوفان الهادر وهذا التجاوب العظيم والتضحية المثالية التي أبداها الشعب المصري وقبله الشعب التونسي وتبعهما العديد من الدول العربية التي تعيش نفس المأساة وتشرب من نفس الكأس.

وقد تحققت الأمنية وانتفضت الشعوب العربية حيث تشهد الآن العديد من الميادين في الدول العربية الكبرى ثورات مماثلة. لتعلن عن بزوغ فجر جديد وانتهاء مرحلة من أسوأ المراحل التي مرت بها الدول العربية والإسلامية. فخرجت الجماهير العربية في محاولة منها للثورة على الطغيان، وتحطيم أنظمة الكفر، وهدم صنم الديكتاتورية والأنانية والديمقراطية المزعومة.

والجدير بالاهتمام والذكر هو أن تلك الثورات اشتعلت دون سابق إنذار أو توقع من الاستخبارات المحلية والعالمية حتى لا تتخذ الحكومات المجرمة خطوات احترازية لوأدها! اشتعلت على غير ميعاد، ودون سابق تخطيط، ودون قيادة سياسية، أو ارتباط حزبي، أو تأطير! عفوية شعبية شاملة لكل شرائح المجتمع وطبقاته، ومختلف ثقافاته واتجاهاته وانتماءاته! لها هدف واحد ومطلب أساس تتفرع عنه مطالب أخرى. هذا المطلب هو إسقاط النظام! وانتقلت الثورة من بلد إلى بلد بسرعة أربكت الحكومة

الأمريكية على وجه الخصوص، والحكومات الغربية التي لها مصالح مباشرة في الدول العربية المتوسطية فوقفوا عاجزين في البداية انتظاراً لما ستسفر عنه الأحداث ومن ثم تحديد الرد المناسب واتخاذ الخطوات المناسبة تحسباً لنجاح تلك الثورات وحدوث الانقلاب على الأنظمة الاستبدادية التي كانت تضمن مصالح الغرب وإسرائيل ومن ثَمَّ تتخذ القيادات الجديدة مواقف سلبية بل عدائية لأمريكا والغرب. أو على أمل أن تستطيع السلطات الحاكمة إخماد تلك الثورات فلا تكون قد قطعت الشعرة التي تقودها منها، ويكون لها يدا عليها كما قال تعالى حكاية عن المنافقين قولهم «أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ».

وبالنسبة لمصر وتونس وتقريباً ليبيا واليمن فلعل المرحلة التي انتهت كانت هي الأيسر والأهون، فأمامهم العديد من التحديات والعقبات والحواجز التي تحتاج إلى اليقظة التامة، والصدق والإخلاص، والصبر والمثابرة، وكذلك عدد من الثوابت التي لا يجوز التنازل عنها أو قبول بدائل لها.

وأول هذه التحديات هي حماية المكتسبات التي تحققت وعدم السماح لكائن من كان من الدخلاء أن يركب الموجة ويعتلي أعناق وأكتاف الرجال الذين ضحوا بأنفسهم وجهودهم وأوقاتهم. فالأحزاب «الفسيفسائية» المجهرية التي سمحت لها تلك الأنظمة سابقاً بالتشكيل والشرعية لا تصلح لقيادة الركب لفقدانها للتفويض الشعبي من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن أفكارها وخططها وقياداتها لا تصلح لإفساد ما ورثته الشعوب المنتفضة من مخلفات حكم استبدادي انتهازي دام أكثر من الثلاثين عاماً الماضية، وهم قد تعودوا على تقديم التنازلات والخنوع والمطالبة بقوانين وأنظمة بائدة لا تناسب القرن الحادي والعشرين، بالإضافة إلى الوافدين من الخارج ويحملون أجندات تغريبية ماسونية مشبوهة أمثال البرادعي والقيادات الورقية التي عاشت في أوروبا لسنوات طويلة ورضعت من فكرها وثقافتها، وكذلك من الجماعات التي كانت محظورة وغير معترف بها؛ كتلك التي تتمسح في الإسلام وتسعى جاهدة للحصول على الاعتراف بها رسمياً لركوب الموجة وخوض الانتخابات النيابية والرئاسية المتوقعة وتحقيق أكبر قدر من المكاسب من ورائهما.

ورغم أن الثورة قامت على أكتاف جميع طوائف وشرائح المجتمع المصري فشارك فيها المثقفون العلمانيون والشيوعيون والنصارى وأتباع الأحزاب العلمانية المعترف بها؛ إلا أن الغالبية الساحقة كانت من المسلمين الذين ليست لديهم أية انتماءات حزبية أو فكرية أو سياسية، ولهذا يجب عدم التنازل وإفساح المجال لقيادات سياسية أو عسكرية أو أمنية من الذين خدموا تلك الأنظمة بكل أمانة وإخلاص ثم انقلبت عليها عندما تبين لها أن الكفة صارت مائلة للثورة الشعبية، أو للاتجاهات والأحزاب المخالفة للشريعة الإسلامية من الاستفادة من التضحيات الضخمة التي قدمتها تلك الشعوب ثمناً للحرية، من الحصول على الأغلبية في المجالس النيابية ومن ثمَّ صياغة دستور يخالف الشريعة الإسلامية، خاصة أننا جربنا كل القوانين والقواعد المشتقة من الدساتير الغربية والعلمانية فلم تزدنا إلا رهقاً، وهوت بنا إلى قاع الدنيا والحضارة، وباع حكامنا ديننا ولم يكسبوا لنا دنيانا.

ومن الثوابت كذلك أننا يجب ألا نتحمل أوزار الطغمة التي حكمت تلك الدول المنتفضة وأوصلتها إلى حافة الهاوية على كل المستويات والأصعدة فيجب محاسبتهم محاسبة دقيقة عادلة، تحدد جريمة كل واحد منهم، وتحصر الأضرار المادية التي سببها للدولة وتحميله إياها، واستعادة ما حققه من مكاسب وثروات بطريقة غير مشروعة، ووضعه ضمن ملف سداد الديون الهائلة الداخلية والخارجية التي ورطتنا فيها الأنظمة البائدة، فأصبح بسببها كل فرد بل كل طفل يولد فيها مديناً بآلاف الدولارات دون ذنب أو جريرة اقترفتها يداه!

وكذلك من أهم الثوابت هي الانسلاخ من كافة المعاهدات والاتفاقيات والالتزامات السياسية والعسكرية والمالية التي بنيت على باطل، وتتعارض مع أحكام الشريعة الإسلامية ومبادئ العدالة والمساواة مع كافة المجتمعات المتقدمة، فكلنا بنو آدم وآدم خلق من التراب. وعلى وجه الخصوص الاتفاقيات التي تضيع حقوق الشعوب الإسلامية أو تعطي لأعداء المسلمين من الحقوق والمكاسب والمزايا ما لا تعطيه لأبناء مصر.

ومن الثوابت أيضاً الانسلاخ من التبعية والأسر للقوى الاستكبارية خاصة أمريكا

وربيبتها دولة اليهود في فلسطين، وكذلك للدول الأوروبية التي -كانت ولا تزال- هي الراعية والمدافعة والمثبتة لكل الأنظمة الطاغوتية التي تتحكم في رقاب المسلمين، ولا نلقي بالاً للدندنة حول الخسائر المادية والأزمة الاقتصادية التي يروجون لحدوثها في حالة الاستقلال عن هذه التبعية سواء بسبب الديون الخارجية التي تلتف حول رقابنا ظلماً وعدواناً وانتفخت بسبب فساد الأنظمة الحاكمة للدول العربية ورعته أو على الأقل تغاضت عنه تلك الدول، أو فوائد الديون التي تخطت الدين الأصلي بمراحل، أو التهديد بسيف انقطاع التحويلات الخارجية من المصريين العاملين في تلك الدول، أو توقف المساعدات المادية والعسكرية التي تقدم لمصر سنوياً من الولايات المتحدة وحلفائها مقابل استسلامها التام لأوامر الأمريكان واليهود!

وللرد على هذه الشبهة نقول ما قاله ربُّنا سبحانه وتعالى للمؤمنين عندما حرَّم مكة والبيت الحرام على المشركين وكان ذلك التحريم في ظاهره يحمل خسائر اقتصادية كبيرة لأهل مكة فكان الجواب من الرب تبارك وتعالى «وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ» وهو ما تحقق بالفعل، كما أنه جل وعلا وعد المؤمنين بالخير العميم والوفير في قوله سبحانه: «وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ» وقوله تعالى: «وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ».

وهذه الأموال المحولة من الدول الأوروبية والولايات المتحدة غالباً هي أوساخ الناس، ومقابل التخلي عن كثير من قواعد الإسلام وأصوله للتكسب في مجتمعات كافرة تضمر العداوة للمسلمين فلا خير فيها، ولو قسمنا المساعدات الأمريكية التي تقدم للدول العربية والإسلامية خصوصاً مصر فتستعبدنا بها، بعد استبعاد قيمة الأسلحة المستهلكة التي يفرضونها علينا سنوياً، والمعدات والمستلزمات العسكرية التي لا نحتاج إليها، ووسائل التعذيب الرهيبة والمركبات والمدرعات والمستلزمات المادية واللوجستية للأجهزة الأمنية القمعية، فلن يتخطى نصيب الفرد الواحد من تلك المساعدات الاقتصادية -نقداً أو عيناً- الخمس دولارات في السنة! فهل نرهن الدولة بكامل شعبها ونعبِّدهم للأمريكان واليهود من أجل ذلك الثمن الزهيد؟

ومن أهم الثوابت والمكتسبات التي يجب العض عليها بالنواجذ، ذلك التلاحم الفريد بين أفراد الشعب الذي ذابت فيه الفوارق الاجتماعية والثقافية والتعليمية والسنِّية، فساد الحب والاحترام والأدب عامة الطوائف، كما برزت معاني التكافل والتآخي والتراحم التي افتقدتها الشعوب العربية خصوصاً الشعب المصري بسبب الأحوال المادية الصعبة التي يحياها الغالبية الكاسحة من أفراده فكانت سبباً في تقطيع الأواصر العائلية والأخوية والقطرية. ولذا فإني أعتقد أن من بركات الثورة المصرية -على سبيل المثال- إعادة روح التسامح، والحمية في الذب عن الآخرين رغم عدم القرابة، واقتسام المأكل والمشرب والخيمة! كما طغى الاحترام على التعاملات، بل وصلت إلى حد إعطاء دروس للعالم في النظافة الشديدة والنظام، وهي مبادئ كانت مفتقدة وعلاها الغبار.

وأما عن المحافظة عن الحرمات وحفظ الكرامات ومراعاة مشاعر الآخرين فأظهرها المحافظة على الأخوات اللاتي شاركن في الثورة وخرجن من بيوتهن مع أطفالهن دون محرم ومع ذلك لم تسجل حالة واحدة وسط هذه الحشود الهائلة من انتهاك الأعراض أو التحرش الجنسي أو خدش الحياء أو الألفاظ المخلة بالآداب بين الثائرين -إلا ما كان من البلطجية المستأجرين وأفراد الأمن والاستخبارات-! فنريد المحافظة على تلك القيم والأخلاقيات ونزيدها، ونشحن معاني روح الإخوة والتكافل والتكامل بين أبناء الأمة الإسلامية الواحدة، وهي القيم التي يحثنا عليها ديننا الحنيف، وتدفعنا العبودية لله وأداء العبادات والشعائر الإسلامية للإحساس بها والعمل بمقتضاها.

ولكن لماذا نريدها ثورة خالصة لله وفي سبيله وسعياً للتخلص من كل صور التعدي على حرمات الدين ومقدساته، وتعبيد الناس لله بعد أن صاروا عبيداً لـ «بن علي ومبارك والقذافي وعلي عبد الله صالح» وغيرهم؟ نريدها كذلك حتى يكون القتيل من المتظاهرين شهيداً، ويأتي الجريح منهم يوم القيامة وجرحه ينزف دماً اللون لون الدم والريح ريح المسك، والذي أصيب بعاهة أو ندبة أو شجة لا يمحى أثرها فهؤلاء يصير كل واحد منهم يحمل وساماً على صدره ونيشاناً على العضو الذي أصيب في تلك الثورة! وإن كنا نرجو أن ينال الذين شاركوا في هذه الملحمة هذا الثواب فضلاً من

الله ونعمة فقد قال رسـولنا الكريم صلى الله عليه وسـلم: (من قتل دون ماله فهو شـهيد ومن قتل دون أهله فهو شـهيد ومن قتل دون دينه فهو شهيد ومن قتل دون دمه فهو شهيد) السنن الكبرى للنسائي جـ٢ ص٣١١.

وقبـل ذلك قول ربنا سـبحانه وتعالى عـن عباده المؤمنين الذيـن خرجوا للجهاد في سـبيله «ذَلِـكَ بِأَنَّهُـمْ لاَ يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلاَ نَصَـبٌ وَلاَ مَخْمَصَةٌ فِي سَـبِيلِ اللّهِ وَلاَ يَطَـؤُونَ مَوْطِئاً يَغِيظُ الْكُفَّـارَ وَلاَ يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلاً إِلاَّ كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِـنِينَ وَلاَ يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيـرَةً وَلاَ كَبِيرَةً وَلاَ يَقْطَعُونَ وَادِياً إِلاَّ كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ» . فهؤلاء المتظاهرون تحمَّلوا الظمأ والجوع، والسير لمسافات طويلة على الأقدام، والنوم في العراء رغم البرودة الشديدة، وواجهوا الموت والاعتقال أو التعدي من مجرمي النظام والبلطجية والمجرمين الذين تم تحريرهم من السجون ليسعوا في مصر فساداً ويشيعوا الفوضى والفزع فيستطيع النظام استخدام القوة المفرطة عسكرياً وأمنياً في قمع الثورة والقضاء على الثائرين ولكن الله خيب فأله ورد كيده في نحره وفضحه على رؤوس الخلائق!

فالفـارق كبير بين أن تكون النيـة خالصة لله ولدينه وحرماته ومقدسـاته، وبين أن تكون الثورة فقط للتخلص من النظام بسـبب استبداده أو فساده أو تبديده لثروات الأمة، أو بسـبب تقليص الحريات والبطالة والفقر وغلو الأسعار، وإن كنا لا نقلل من شأن هذه الأسباب ولا نهوِّن من جهود الساعين لإعادة تلك الحقوق للمجتمعات التي افتقدتها بالكلية، أو بصورة شبه كلية.

ونقول للشـعوب المسلمة في تونس ومصر وليبيا واليمن وغيرها هنيئاً تلك الثورات وما تحقق من مكاسـب عظيمة على رأسـها التخلص من النظام الحاكم العميل، وخصوصـاً الشـعب المصري الذي تخلـص من أكبـر طاغية حكم أكبـر بلد عربي لثلاثة عقود من الزمان وأخيراً لم يجد من عمله وسـيرته وتاريخه الأسود ما يشفع له ويسـترضي الناس ليقبلوا بوجـوده حياً بينهم فضلاً عـن أن يمهلوه ليتم فترته الرئاسية الأخيرة المهينة، بعد أن قطَّع كل أواصر المودة والأخلاق والأعراف والإنسانية، فشحن القلوب كراهية له، وحقداً عليه، ورغبة في الانتقام منه!

ونذكر جانباً يسيراً من تركته الثقيلة التي خلفها للشعب المصري والتي يشهد عليه بها الذين كانوا يعملون في مؤسساته الرسمية وأجهزته الحكومية منها ما ذكره ممدوح الولي الخبير الاقتصادي المصري ونائب رئيس تحرير صحيفة «الأهرام» المصرية الرسمية الحكومية حيث يقول: (بلغ عجز الميزانية للعام الحالي الذي لم ينته بعد ١٥١ مليار جنيه مصري -حوالي ٢٥ مليار دولار-، وعجز تجاري مزمن منذ سنوات طويلة بلغ خلال العام الماضي ٢٥ مليار دولار! وبلغ إجمالي الديون الداخلية والخارجية ١,١٣٦ تريليون جنيه مصري - حوالي ١٩٠ مليار دولار-، مع إهمال القطاع الصناعي وتحقيق نسبة ضئيلة من الاكتفاء الذاتي في الحبوب والكثير من الأغذية! ولا يوجد حصر دقيق لما يملكه الرئيس وأسرته في الخارج وكذلك الوزراء السابقون ورجال الأعمال المقربون من النظام وعددهم ثمانون رجل أعمال قاموا بالحصول على أراضي الدولة بأسعار زهيدة وحصلوا على تسهيلات للحصول على قروض مالية، كل ذلك أدى إلى عدم توزيع متماثل للتنمية في البلاد مما أدى إلى زيادة معدلات الفقر!

أما الميراث الاجتماعي فيتمثل في السكن الشِّرك (سكنى عدة أسر في شقة واحدة) وهو منتشر في كافة المدن المصرية، وافتقاد المراحيض (بيوت الخلاء) في بيوت الريف في الصعيد بالكامل. والعشوائيات تخطت ١٢٠٠ منطقة عشوائية في أنحاء البلاد خاصة بالمدن بينما لم يتم حصر عشوائيات الريف. وقضية أطفال الشوارع وعمالة الأطفال، وارتفاع معدلات العنوسة (عدم الزواج رغم تخطي مرحلة البلوغ منذ سنين عديدة)، والإدمان، والانتحار، وانحسار المجتمع الأهلي، وتدهور التعليم والرعاية الصحية، وحالات الهجرة حتى إلى إسرائيل، والهرب للموت في عرض البحر طلباً لفرصة عمل في أوروبا، وتدني معاشات الفقراء التي تصل إلى ١٤٠ جنيهاً -حوالي ٢٣ دولاراً- شهرياً!) اهـ. وما خفي أو يكشف عنه النقاب تباعاً، أو لم يعلن عنه بعد أدهى وأمرّ!

ونقول لشعب مصر والشعوب العربية والإسلامية إن الثورات الشعبية التي حدثت في تونس ومصر وليبيا واليمن أثبتت أن ثمن الحرية الذي يدفع في مواجهة الطغاة

والانتفاضة على أنظمتهم القمعية الكافرة المستبدة يسير وأهون بكثير جداً مما كنتم تظنون، ولا يقارن بالثمن الفادح الذي تدفعه الشعوب نتيجة الخوف والاستكانة والحرص على الحياة مهما كانت!

فلقد دفع الشعب المصري عدة مئات فقط من القتلى -وكنت أتوقع أن يصل عددهم إلى عدة آلاف-، وآلاف الجرحى الذين تعافى غالبيتهم، في مقابل تحرير إرادة الشعب واستقلاله، والتغيير الشامل في نظام الحكم وإدارة البلاد بما يضمن تحقيق أكبر قدر من العدالة الاجتماعية واقتسام الإنتاج القومي والثروات بالعدل بين أبناء البلد الواحد، وإتاحة فرصة الحياة الكريمة لجميع المواطنين، وتأمين مستقبل زاهر لأجيالهم الحالية والقادمة بإذن الله.

ويجب ألا ننسى أن الجيوش العربية الحالية كانت هي الداعم والحامي والدرع الواقي واليد الطولى للأنظمة الفاسدة المستبدة التي حكمت دولنا العربية قبل انتفاض تلك الثورات، وكانت ولا تزال هي الراعي والمنفذ لكل الاتفاقيات التي أضاعت حقوق الشعوب الفلسطينية والعربية مع اليهود، وتلك الاتفاقيات الثنائية التي أضاعت هيبة مصر ومكانتها الإسلامية والإقليمية والدولية!

والعقيدة العسكرية الحالية للجيش المصري -كمثال- لا تبشر بخير، وقادته الحاليون بخلفياتهم الدينية والمهنية والعسكرية لا تجعلنا نتوقع منهم حماية مقدرات هذا الشعب أو مصالحه، إلا إذا اضطروا لذلك صاغرين! فلابد من تصفية الجيش من العناصر المفسدة الموالية للغرب ومصالحه حتى النخاع، وإفساح المجال أمام العناصر المسلمة المؤمنة الشريفة في تسنُّم أعلى المناصب القيادية حتى يعود الجيش المصري درعاً للأمتين العربية والإسلامية وحامياً لثروات الأمة ومقدراتها وقيمها ومبادئها السامية.

والله من وراء القصد وهو الهادي إلى سواء السبيل، والحمد لله رب العالمين.

انفذ على رسلك (8)

الشيخ: عطية الله

...الحكمة الثانية:

قوله صلى الله عليه وسلم: «ولا تلتفت».

قال له: انفذ على رسلك ولا تلتفت..

وقد ذكرنا رواية مسلم التي فيها : «امش ولا تلتفت حتى يفتح الله عليك، قال -أي الصحابي راوي الحديث-: فسار عليٌّ شيئاً ثم وقف ولم يلتفت، فصَرَخَ: يا رسول الله! على ماذا أقاتل الناس؟...»الخ

وفي لفظ آخر (عند ابن أبي شيبة) قال: «قم اذهب فقاتل ولا تلفت حتى يفتح الله عليك. فلما قفَّى -أي عليٌّ رضي الله عنه، أي رجَعَ ليسأله هذا السؤال- كره أن يلتفت، فقال: يا رسول الله! على ما أقاتلهم؟ قال: حتى يقولوا لا إله إلا الله...»الخ

والمقصود بهذا النهي عن الالتفات تأكيد الأمر السابق بالنفاذ والمضيّ، فهو من باب التأكيد بنفي الضدّ (بالنهي عن الضدّ).

وفيه أيضا تنبيه له على عدم الاشتغال بأي أمرٍ جانبيّ يلهيه عن مقصوده، أو يستهلك شيئاً من طاقته، أو يفسد عليه نشاطه ويُضعِفُ همَّته.

وكذا ينبغي لأهل الجهاد أن ينفذوا ويمضوا لما أُمِروا به ولا يلتفتوا..!

يمضوا إلى الأهداف الكبيرة الواضحة المرسومة، ولا ينشغلوا بشيءٍ مما لا يخدمهم في سعيهم، بل يفسد عليهم ويأكل من عزمتهم.!

وسنزيد هذا المعنى توضيحاً إن شاء الله تعالى.

فائــدة: في فعل عليّ رضي الله عنــه حين رجع القهقرى ليســأل النبيَّ صلى الله عليه وســلم، ولم يلتف؛ وكره أن يلتفت، وإقرار النبيّ صلى الله عليه وسلم له على هذا التصرّف.

هــذا منه رضــي الله عنه مبالغةٌ محمودة في إظهار الســمع والطاعة للنبيّ صلى الله عليه وسلم، وهو موضعٌ (الحربُ والقتالُ وأوامرُ القيادة فيها) يحتاج إلى مبالغة ودقة في السمع والطاعة، وهو ما يعبّر عنه في لغة العصر بـ«الحَرْفيّــة» و«التطبيق الحَرْفيّ» و«الانضباط العســكريّ»، وذلك أن شــأن الحرب غير شــأن السلم والعافية، وليس فيها مجال واســع لاجتهاد المأمور في تفســير وتطبيق الأمر الصادر إليه من قيادته، فالحزم الواجب دائما هو السمع والطاعة بكل دقة وحمل الأوامر على ظاهرها، إلا إذا وجد معارِضٌ متيَقَّــنٌ، وهي حالات نادرة ليست هي محلّ كلامنا.

وإنما محل كلامنا واضح وهي الأوامر المعهودة من القيادة لأفرادها، كما لو قال الأمير لبعض جنوده: أنتم تقعدون هنا ولا تتحركون، أو: لا تذهبوا إلى المكان الفلانيّ، فيجلس هؤلاء الجنود قليلاً مثلاً ثم إذا رأوا بعض التغيرات اليســيرة في الواقع يشــرعون في التأويلات والتفسيرات قائلين: هو يقصد كذا ولا يقصد كذا، ومراده كيت وكيت!!

وما أدراكم ما مراده؟!

فيخالفــون الأوامــر ويتحركــون ويذهبون، فربما وقع من ذلك فســاد كبيــر أو صغير، بحسبه.! والله المستعان.

ومــن عُرِف منه ذلــك وتكرر، فإنه لا يصلُحُ للجندية، ولا يفيــد أن يكون مع المجاهدين وفــي صفّهم، وربما كان ضرراً عليهم ينبغي التوقــي منه وإبعادُهُ عن الصفّ، ولذلك فإن القيادات العسكرية الواعية في معسكرات التدريب وأيضاً في ميدان الممارسة القتاليــة تعتمِد التدرّج في تربيــة أفرادها بالاختبارات وإتاحــة الفرصِ المتدرجة في

الأعمال والمهامّ ليَعرِفوا المطيع المنضبط الذي يصلح للجندية ثم يقبَلُ الترقّي في درجاتِ المسؤولية. ومن يحتاجُ إلى تقويمٍ. ومن هو صفرٌ من ذلك كله.!

والحاصل أن الواجب هو حمل كلام المتكلم على ظاهره دائما. والاستثناء هو فقط: حيث يوجَدَ دليل واضحٌ بيّنٌ يُوجِبُ حمله على خلاف ظاهره. هذا في سائر كلام المتكلمين وفي سائر الأوقات والأحوال. ويتأكد ذلك في حال الحرب. وفي قصة الرماة رضي الله عنهم في غزوةِ أحدٍ خيرُ عبرةٍ. ولعظم موقعها وفائدتها ذكرها الله عز وجل في القرآن الكريم تُتْلى إلى يوم القيامة. والقصص والعبر غيرها كثير جداً أيضاً.

وهذا الخلل كثيرٌ فينا للأسف! فيجب أن نصلحه وندفعه بنور العلم والحكمة. وبوازع الدين وسلطان التقوى والحزم. وأن نربّي القاصرين الجاهلين. ونكمل الناقصين. وأن نأخذ على أيدي المستهترين قليلي الانضباط. «ومن يتوكل على الله فهو حسبه» «واتقوا الله ويعلمكم الله» «ومن يتصبّر يصبّره الله. ومن يستعفف يعفّه الله». وبالله التوفيق وعليه وحده الاعتماد. والحمد لله رب العالمين.

قال النووي رحمه الله: «وحمَله عليٌّ رضي الله عنه على ظاهره ولم يلتفت بعينه حين احتاج. وفي هذا حملُ أمره صلى الله عليه وسلم على ظاهره» اهـ

قلتُ: ويشبه ذلك من بعض الوجوه قصة أبي سعيد بن المعلّى رضي الله عنه حين ناداه النبي صلى الله عليه وسلم وهو كان في الصلاة.

عن أبي سعيد بن المعلّى قال: «كنتُ أصلي في المسجد فدعاني رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فلم أجبه. فقلت يا رسول الله: إني كنت أصلي. فقال: ألم يقل اللهُ استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم؟ ثم قال لي: لأعلمنك سورة هي أعظم السور في القرآن قبل أن تخرج من المسجد. ثم أخذ بيدي. فلما أراد أن يخرج قلت له: ألم تقل لأعلمنك سورة هي أعظم سورة في القرآن؟ قال: الحمد لله رب

العالمين هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته» رواه البخاري

قال أكثر العلماء إن ذلك خاصٌّ بالنبيّ صلى الله عليه وسلم، أعني وجوب إجابته في الصلاة.

لكن المقصود أن النبي لام أبا سعيد على عدم إجابته رغم أنه كان يصلي، واحتج أبو سعيد بأنه كان يصلي فلم يُرد أن يقطع الصلاة ولكنه تجوّز فيها وأسرع، ثم جاء، فبيّن له النبي صلى الله عليه وسلم أنه يجب عليه إجابة دعائه فوراً، وتلا عليه قول الله تعالى: «اسْتَجِيبُوا لله وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ».

ففيه تنبيه إلى تأكّد حمل الكلام على ظاهره أيضاً، وهو القدر المشترك بين القصتين الذي أشرنا إليه.

قال السنديّ في حاشيته على البخاري: مطلقُ الأمر وإن كان لا يفيد الفور، لكن الأمر ههنا مقيد بقوله إذا دعاكم أي الرسولُ، فيلزم الاستجابة وقتَ الدعاء بلا تأخير. اهـ

ونقل الحافظ في الفتح عن الخطابي أن الحديث فيه «استعمال صيغة العموم في الأحوال كلها وإجراء لفظ العموم على جميع مقتضاه». اهـ. ومرادُه العمومُ المدلولُ عليه بـ «إذا».

ومنه تعرفُ عظم وسَعَةَ فائدةِ العموم في كلام الله وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم، فليتنبّه إلى هذا طالب العلم.

نسأل الله تعالى أن يزيدنا وإياكم علماً، ويرزقنا الفقه في الدين.. آمين

(يتبع إن شاء الله)

تعست الاستراتيجية... وبئست المراجعة

الشيخ: حسام عبد الرؤوف

بمناسبة نهاية السنة الميلادية وكما وعد عبد البيت الأبيض كان لابد أن يقدم تقييماً شاملا ومراجعة للإستراتيجية المشئومة التي انتهجتها القوات الأمريكية في أفغانستان طوال تسعة أشهر تقريباً، والتي لخصت نتيجتها في أنها (حققت مكاسب هشة قابلة للتلاشي)، وحذر قواته في زيارته الأخيرة المفاجئة -كالمعتاد- لأفغانستان من مواجهة أوضاع قاسية خاصة في قاعدة بجرام -أكبر القواعد الأمريكية هناك-.

وهذه الإستراتيجية الفاشلة العقيمة كما وصفها كبار السياسيين والمحللين والعسكريين بدأت بالاستقالة المتعمدة من مهندسها الجنرال «ستانلي ماكريستال» الذي تعمد الإساءة للإدارة الأمريكية بدءاً من الرئيس الأمريكي وانتهاء بكبار القادة في البنتاغون، مروراً بمستشار الأمن القومي الأمريكي السابق الجنرال «جيمس جونز»، وذلك حتى لا تلتصق الهزيمة الوشيكة -بإذن الله- والانسحاب المخزي باسمه وهو من عائلة عسكرية عريقة، والتي بدأها بعملية «مرجه» الشهيرة ليؤكد لقادته أن الحرب خاسرة والهزيمة ستكون مدوية، وخلفه الجنرال الأتعس «دافيد بتريوس» ليحمل أوزارها ويصطلي بنارها ظناً منه أنه سيصنع المعجزات ويقلب الهزيمة إلى نصر، أو على الأقل حفظ ماء الوجه وسحب القوات الأمريكية على مهل وبدون فضيحة كما حدث لها في فيتنام.

وقد ثنّى وزير الدفاع الأمريكي روبرت جيتس بالتبشير باستقالته المتوقعة مع بداية الربيع القادم أو منتصف السنة عندما تبدأ القوات الأمريكية في الانسحاب

التدريجي على أساس أنه بذلك -كما يدعي- يكون قد ضمن تحقيق المهمة وإنجاز الهدف الأساسي من الحملة الصليبية على أفغانستان.

وتخللت تلك الفترة عمليات كبرى شارك فيها عشرات الآلاف من القوات الأمريكية في ولايتي هلمند وقندهار قام بها التنين والأفعى وغيرها من المسميات الفارغة التي يتفننون في اختيارها على كاتبي سيناريوهات أفلام «هوليود».

أما النتيجة فهي وقوع أكبر عدد من الخسائر البشرية المعترف بها من قيادة الناتو والتي زادت بنسبة ٥٠٪ عن العام السابق وكذلك بالنسبة للقوات الأمريكية التي قتل منها منذ بداية السنة وحتى ٢٠١٠/١٢/١٧ « ٤٨٠ ضابطاً وجندياً» وكان عددهم عام ٢٠٠٩ قد بلغ ٣١٧، بينما كان في عام ٢٠٠٨ حوالي ١٨٠ فقط.

ولا يرجع سبب زيادة عدد قتلاهم وجرحاهم إلى زيادة عددهم الإجمالي بأكثر من ٣٠ ألفاً، وذلك لأنهم يتقوقعون الآن في قواعدهم المحصنة بعيدا عن المدن والطرق الرئيسية، وبالتالي قلت تحركاتهم ويفترض قلت تعرضهم للمتفجرات التي توضع على الطرق والمعابر التي يجتازونها، كما قلت عملياتهم الكبرى وقل عدد المشاركين فيها من القوات الأمريكية، وأصبح تركيزهم هو تدريب أكبر عدد من القوات الأفغانية وقوات الشرطة المحلية لتولي المهام الأمنية في الأقاليم شديدة الاضطراب خاصة الجنوبية! ولكن سبب زيادة ضحاياهم أن الله خيب فألهم وأفسد تخطيطهم بعد قيام العشرات من أفراد الشرطة والجيش الأفغانيين بالانضمام لصفوف مجاهدي الإمارة الإسلامية بكامل أسلحتهم ومركباتهم، وقيام بعض المجاهدين المندسين وسط تلك القوات بعمليات إطلاق نار على مدربيهم من القوات الصليبية وإسقاط عشرات القتلى منهم، والتطور الكبير الذي حدث في أساليب التفخيخ والقتال وعمل الكمائن لدى المجاهدين، والقيام بعمليات هجومية ضخمة يشارك فيها العشرات من الانغماسيين ومجموعات الاقتحام على أكبر القواعد الأمريكية في كابل "قاعدة بجرام» وقندهار وخوست وجلال آباد وغيرها.

بالإضافة إلى التطور الملحوظ في وسائل الدفاع الجوي لدى المجاهدين في الجنوب خاصة بولاية هلمند حيث قطعوا شوطاً كبيراً في مرحلة إنهاء الهيمنة الجوية الأمريكية مما قلل كثيراً من استفادة العدو الجوية القتالية. بل كشف النقاب عن أن الطالبان كانوا قد خططوا لإسقاط مروحية التشينوك التي كانت تقل رئيس الوزراء البريطاني أثناء زيارته لأفغانستان وذلك عند ذهابه للولاية لتفقد القوات البريطانية هناك، ولذا اضطروا إلى تغيير مسار الرحلة! ومن المعلومات التي سربت ونشرها موقع «ويكي ليكس» يتضح أن لدى الطالبان صواريخ تتبع الطائرة وتطلق من على الكتف. كما كشفت عن ازدياد هائل في استخدام الطالبان للأسلحة بدائية الصنع من نحو ٤٠٠ سلاح عام ٢٠٠٤ إلى أكثر من ٧٠٠٠ سلاح العام الماضي، بل كشفت عن محاولة لقتل أفراد من قوات التحالف بتسميم ماء الشرب بمادة السيانيد في أكتوبر الماضي.

وكذلك النقل الجوي فزادت قوافل الإمدادات البرية التي أصبحت بين مطرقة الكمائن والعبوات الناسفة المزروعة على الطريق القادم من مدينة «كويتا» الباكستانية، وسندان مجاهدي الإمارة والمتمثل في الرشاوي التي تدفع لهم بملايين الدولارات شهرياً للسماح بمرور قوافل الإمداد العسكرية دون التعرض لها.

وذلك في ظل الاتساع المتزايد للمناطق التي يسيطر عليها مجاهدو الإمارة وتزايد الدعم الشعبي للمجاهدين، وفشل كل المؤامرات التي تحاك لتقسيم صف المجاهدين أو إقناع قياداتهم بالانخراط في العملية التفاوضية والقبول بالحلول السلمية والفتات الذي يعرض عليهم من مناصب في حكومة كرزاي الفاسدة سيئة السمعة!

-يقول السيد هاني «نائب رئيس تحرير جريدة الجمهورية المصرية»: (حركة الطالبان ترى أن التفاوض في الوقت الحالي يعني إيقاف الانتصارات يعني تقديم تنازلات يعني توفير أمن للقوات الدولية المتواجدة والتي تعاني من أعلى معدلات خسائرها منذ بداية الحرب.... إذن الطالبان الآن قوية تستطيع القيام بعمليات نوعية، واستطاعت

بالفعل أن تحول المجال العسكري -لدرجة ما- لصالحها. فإذا ما وافقت على التفاوض معنى ذلك أنها توافق على رئاسة حامد كرزاي، وعلى التشكيلة العجيبة للحكومة الأفغانية من الطاجيك والأوزبك والهزارة وقلة من البشتون) اهـ.

(ويضيف أحد التقارير الإخبارية بقوله إن محاولات إدماج الطالبان في الحياة السياسية الأفغانية لن يكتب لها النجاح لأنه يجب أن تكون هناك مصالحة وطنية. الطالبان لا يقاتلون من أجل الحصول على أموال ووظائف ولكن يقاتلون من أجل قضية، وأن البلد قد تعرض لغزو وعليهم تحريره، ومن الممكن أن يتقدم لشغل الوظائف العاطلون المشردون لكن المقاتلين الحقيقيين لن يفعلوا ذلك وعلينا أن نسأل لماذا يقاتلون؟

كان هذا هو الرأي للمحللين السياسيين المحايدين حول جهود الوساطة لعقد مفاوضات بين الحكومة الأفغانية وممثلي الإمارة الإسلامية، وإما على مستوى حلف الناتو ورؤيته لنجاح أو فشل هذه الجهود طوال الأربع سنوات الماضية فقد قال وزير الخارجية البريطاني إنه سيخبر الإدارة الأمريكية أن دعاوى كرزاي لتحقيق الوحدة والتفاوض مع الطالبان جوفاء ولا تستند لأي تخطيط جاد أو مقترحات ملموسة أو خطوات فعلية لتحقيق ذلك!) اهـ.

كما لم تفلح محاولات الجنرال «بتريوس» تأليب القبائل الحدودية وتكوين ميليشيات قبلية تتولى الأمن ومنع تسلل المجاهدين إلى داخل أفغانستان عبر الحدود الباكستانية وهو الرهان الكبير الذي كان يراهن عليه، بل زادت عمليات التسلل للداخل واستعرت القواعد الحكومية الأفغانية والأمريكية القريبة من الحدود بنار عمليات نوعية ضخمة على فترات متقاربة، بل اشتعلت ولايات الشمال وولايات أخرى كانوا يعدونها من الولايات الهادئة!.

ومما زاد من معاناة القوات الأمريكية في أفغانستان وحطم ما كان تبقى لديها من معنويات هو التخفيض القسري في ميزانية وزارة الدفاع الأمريكية والاستغناء عن ألوية من الجيش بجنرالاتها، وبالتالي نقص الإمدادات والامتيازات التي كانوا يتمتعون

بها. وتغير المعاملة التي كانوا يلاقونها خاصة بالنسبة للرعاية الطبية والنفسية والأسرية للمجندين والمصابين والمعاقين في المستشفيات والمصحات ودور الرعاية الطبية الأمريكية فزادت حالات الانتحار وما خفي كان أعظم وأطم.

فقد شهد العام الماضي (٢٠١٠) خلال تسعة أشهر -حسب الإحصائيات الرسمية الأمريكية- انتحار ١٤٠ جندياً أمريكياً وهو رقم موازي لعددهم طوال العام الذي سبقه (٢٠٠٩) بالكامل. والجدير بالذكر أن ثلث المنتحرين لم يخدموا لا فى العراق ولا فى أفغانستان. ويعاني خمس القوات الأمريكية من الرتب المتدنية الذين خدموا في العراق وأفغانستان من الاكتئاب وأمراض نفسية معقدة ومزمنة ومرض (الاضطرابات ما بعد الصدمة).

فيما حذر كبار الجنرالات البريطانيين من أن القوات البريطانية في أفغانستان تعاني من أزمة في تدهور معنوياتها بسبب الأوضاع في بريطانيا مما يؤثر على سير الحرب هناك. وقال السير «دافيد ريتشاردز» رئيس الأركان العامة البريطانية في مذكرة سرية أعدها للوزراء المعنيين إن إجراءات الحد الأخيرة في ميزانية الدفاع لها تأثيرات كبيرة على الجنود في أفغانستان وعلى أسرهم! ونقلاً عن الصحف البريطانية فإن ٢٢٪ من الـ٧٣٠٠٠ فرد وهم القوة القتالية في الجيش البريطاني لا يصلحون للمشاركة في القتال إما للإصابة أو المرض أو السبب الأساس وهو عدم اللياقة البدنية!

وفي المقابل زادت ثقة المجاهدين بقرب تحقيق موعود الله لعباده المؤمنين بالنصر والتمكين وأن العاقبة لهم. وباتوا على يقين بأن القوات الأمريكية والأجنبية في حالة انهيار وسوف تنسحب في أقرب فرصة مهما حدد لها ساستهم من مواعيد هلامية للانسحاب بعد تمام المهمة وتكوين الجيش الأفغاني القادر على تحمل المسئولية الأمنية كما يتوهمون.

يقول الدكتور أيمن سلامة -أستاذ القانون الدولي العام بجامعة القاهرة والخبير الإستراتيجي والعسكري: (لن تنجح الإستراتيجية على الإطلاق لأننا يجب أن نتذكر

مسألة فرضية مهمة للأحداث فإنه كما كان للحادي عشر من سبتمبر غاية صدمة مباغتة للولايات المتحدة كان غزو أفغانستان ذاته من قبل الولايات المتحدة والدول المتحالفة معها كان صدمة مباغتة للجيوش المشاركة فلم يكن ثمة تناسق عسكري للتوفيق بين الحكومات على المستوى الاستراتيجي لاتخاذ مثل هذا القرار. القوات المتحالفة لم تجرب تدريباً عسكرياً مشتركاً ولا مناورة عسكرية في حروب الجبال! يجب ألا يغيب عن أذهاننا أن الحرب ضد الإرهاب، حرب العصابات، حرب المدن، القتال في المناطق الجبلية، هي ذات طبيعة خاصة، وهي من أصعب وأشرس الحروب! ويجب الأخذ في الاعتبار الطبيعة العنيفة والمقاتل الصلب والجبال نفسها هي التي عكست تضاريسها على طبيعة وتضاريس المقاتل الأفغاني) اهـ.

وهكذا كانت السنة الأولى لحكم بوش الابن وبالاً ونكالاً عليه وعلى الولايات المتحدة كارثة مزلزلة في الحادي عشر من سبتمبر، والسنتان الأوليان لحكم عبد البيت الأبيض تنذران بفاجعة للولايات المتحدة أشد إيلاماً وأقوى افتضاحاً وأخزى تاريخياً من هزيمة فيتنام.

يقول السيد هاني: (الشعب الأفغاني مضياف يرحب بالضيف ولكنه لا يقبل بوجود أي أجنبي على أرضه والدليل على ذلك أن الشعب الأفغاني طرد جميع الشعوب الأجنبية التي دخلت لاحتلال أفغانستان: الإمبراطورية البريطانية في عز عظمتها وأوجها انتصرت عليها أفغانستان، وخاضت ضدها ثلاثة حروب: الحرب الأولى منذ عام ١٨٣٩ إلى ١٨٤٢ وانتصر فيها الأفغان. والحرب الثانية من ١٨٧٨ إلى ١٨٨٠ وانتصر فيها الأفغان وقاموا بسحل قائد الجيش البريطاني في شوارع قندهار وسط الأسواق. والثالثة كانت عام ١٩١٩ وانتصر الأفغان واعترف البريطانيون بالهزيمة ووقعوا اتفاقية في ١٩ أغسطس ١٩١٩ اعترفوا فيها باستقلال أفغانستان! وكلنا يذكر هزيمة السوفييت.) اهـ.

وإذا كان الأمريكيون يدّعون أن هدفهم الاستراتيجي الآن هو القضاء على القاعدة وعدم السماح لها بالعودة إلى أفغانستان لتكون ملاذاً آمناً لها فإن التقارير الرسمية

الأمريكية تثبت فشلهم الذريع في تحقيق هذه الهدف. حيث (ذكر التقرير السنوي الأخير لعام ٢٠١٠ الخاص بوزارة الخارجية الأمريكية أن القاعدة في باكستان رغم مرور تسع سنوات على استهدافها لازالت تشكل أكبر تهديد إرهابي لأراضي الولايات المتحدة ومصالحها في الخارج. مشيراً إلى أن خطر القاعدة يتزايد بشكل خاص في كل من باكستان واليمن. وأن التنظيم يواصل تجنيد مواطنين أمريكيين وأوروبيين. وقال رئيس مركز مكافحة الإرهاب في وزارة الخارجية الأمريكية «دان بنجامين» إنه رغم أن تنظيم القاعدة تلقى ضربات موجعة إلا أنه استطاع بناء قدراته خلال السنوات الأخيرة قائلاً: (أثبت تنظيم القاعدة قدرته على التكيف والمرونة كتنظيم إرهابي! وتبقى رغبته في الهجوم على الولايات المتحدة ومصالحها في الخارج قوية ووفقاً لتقييمنا فإن تنظيم القاعدة لا يزال مستمراً في التدريب ونشر عناصره في أوروبا الغربية وأمريكا الشمالية)اهـ.

كما أكد «بنجامين» أن التقرير كشف أن أيديولوجيا القاعدة باتت تنتشر في أماكن مختلفة من العالم بما في ذلك في الولايات المتحدة (الاعتقاد بأن الأمريكيين لهم نوع من المناعة ضد أيديولوجيا القاعدة قد تبدد! فعدد من الحالات أثبت أنه يتعين علينا أن نبقى يقظين) اهـ.

(وأشار التقرير إلى النجاحات التي حققها تنظيم القاعدة في أفريقيا وبالتحديد في منطقة الساحل والصحراء إلى جانب الصومال. كما أبرز التقرير محاولات القاعدة شن هجمات على الولايات المتحدة. فالمحاولة الفاشلة لعمر الفاروق بتفجير طائرة في مطار «ديترويت» في الولايات المتحدة تظهر أن تنظيم القاعدة لا يرغب فقط في إلحاق الأذى بالولايات المتحدة. بل إنه يعمل على تطوير قدراته التكنولوجية في تنفيذ عملياته) اهـ. وذلك رغم الجيوش الجرارة التي تعمل في مجال الاستخبارات وعشرات المليارات من الدولارات التي تنفق سنوياً على وكالات الاستخبارات الأمريكية. ونقلاً عن صحيفة «الواشنطن بوست» (فإن هناك الآن ١٢٧١ وكالة استخبارات حكومية

أمريكية، وأكثر من ١٩٣١ وكالة خاصة تعمل جميعها في مجال مكافحة الإرهاب! تقدم حوالي ٥٠ ألف تقرير سنوي منذ ١١ سبتمبر ٢٠٠١. وهذه الوكالات تمتلك ١٠ آلاف موقع في المدن الأمريكية يعمل فيها ٨٥٤ ألف موظف! وهذا خلق فوضى أمنية وتشتت للأجهزة الأمنية وغياب التخطيط والتنسيق بينها) اهـ.

وخلاصة القول جاءت على لسان السيد هاني: «الرئيس الأمريكي حدد بداية ميعاد انسحاب القوات الأمريكية بالفعل في يوليو ٢٠١١ سواء أقام هذا النظام الذي يتمناه أم لم يقم! هناك ضغوط اقتصادية على الرئيس الأمريكي تجبره وأجبرته على اتخاذ هذا القرار، فنفقات الحرب في أفغانستان كما ذكرت الواشنطن بوست تبلغ ٦,٧ مليار دولار شهرياً، يعني في السنة حوالي ٨٠ مليار دولار من ميزانية أمريكية بلغ عجزها هذا العام ١,٦ تريليون دولار، وسوف يصل بنهاية هذا العقد والسنة (٢٠١٠) إلى ١٢ تريليون دولارا إذن الأزمة الاقتصادية الخانقة، والإنفاق العالي على ١٠٠ ألف جندي أمريكي في أفغانستان، تكلفة الجندي الواحد منهم تزيد بالسنة عن نصف مليون دولار، هي التي أجبرت الرئيس الأمريكي على الانسحاب بالضبط مثل المثل الشعبي: «على قدّ لحافك مد رجليك»، فاللحاف الأمريكي الآن أصبح قصيراً وجعل الأقدام الأمريكية عارية ومعرضة للقتل والقطع في أي وقت!

أفغانستان هي مقبرة الإمبراطوريات وبالتالي فعلى الولايات المتحدة أن تكون لديها نفس الشجاعة التي كانت لدى الرئيس السوفيتي السابق «گورباتشوف» عندما قال ليس لنا مصلحة في البقاء في أفغانستان ويعود بالجنود، فعلى الرئيس «أوباما» أن يقول نفس الكلمة ويعود بالجنود الذين يقتل منهم كل يوم أكثر من ٣ أو ٤ جنود فوق جبال أفغانستان!» اهـ.

فتعست الاستراتيجية العسكرية لـ«مكريستال» وخلفه «بتريوس»، وبئست المراجعة التي بشرت الأمريكيين بما يسوءهم وكرهوا أن يطّلعوا عليه.

والحمد لله رب العالمين.

إلى متى والشيخ العلوان خلف القضبان ؟!

ناصر الأسارى

يقول الإمام ابن تيمية رحمه الله: «المحبوس من حبس قلبه عن ربه تعالى، والمأسور من أسره هواه». وإن نظرة إلى أسرى المسلمين المجاهدين سواء في سجون الطواغيت من بني جلدتنا أو في سجون الكفار لنجد أن أسرانا هم الأحرار وهم الطُلقاء، فهم رضوا بأن تُحبس أجسادُهم في الزنازين على أن لا يَحبسوا الحقَّ في قلوبهم، رضوا بأن يُضربوا ويُعذَّبوا على أن لا يسكتوا عن تعذيب المسلمين واستضعافهم، ورضوا بأن تُقيد أرجلُهم وأيديهم على أن لا تُقيَّد عقيدُتهم بأهواء الكفار، فتجدهم وهم في أسرهم أعزة بدينهم يقولون الحق ولا يخافون في الله لومة لائم، وهم في هذا مسرورون مطمئنون مرتاحون جنتهم في صدورهم.

وإن نظرة أخرى إلى حال بعض طلبة العلم والمشايخ الذين تفتح لهم الحدود فيطيرون حيث شاءوا إلى أي بلد من البلدان ولو كانت أمريكا حاملة لواء الحروب الصليبية، لنجد أنهم هم الأسرى، فهم وإن كانوا على ما هم عليه من حرية في الحل والترحال إلا أن الكفار قد حبسوا دين هؤلاء في زنازينهم ونالوا منه، ومع هذه الحرية المزعومة التي وهبها لهم الكفار جزاء خذلانهم للمسلمين تجد أن قلوبهم قد ملئت رعباً من الحكام وأعوانهم، يحسبون للكلمة التي تخرج من أفواههم ألف حساب حتى لا يُفهم منها أنها ضد الكفار وأعوانهم، حتى إن الواحد فيهم صار لا يدعو على الكفار علانية!، فشتان ما بين ذلك الأسر وما بين ذاك!

وفي وقت نرى فيه أهل الكفر والإلحاد من النصارى واليهود، أو من غيرهم كعباد القبور والأئمة والأضرحة، أو عباد البقر، ومقدسي بوذا، أو العلمانيين والملاحدة والزنادقة وعتاة الإجرام واللصوص، ودعاة التعري والإباحية، والمثليّين، أو من الصحفيين والإعلاميين والسياسيين والمطربين والممثلين والماجنين وغيرهم من الرويبضة والرعاع والإمعات

والنكرات ودعاة القومية والوطنية والقبلية وسفلة القوم. نرى كل هؤلاء إذا سُجن أحدهم أو حتى إذا ضُيق على أحد منهم ومُنع من نشاطاته. نراهم وقد نصروه ووقفوا معه وتكلموا عنه وشجبوا واستنكروا! وبعضهم قد يملأ الصحف سبًّا وتقريعًا وبعضهم يملأ الشوارع احتجاجاً وتوعداً لمن قام بهذا. فشكلوا الجمعيات والرابطات وأقاموا المؤتمرات والندوات في سبيل فكاك أسرهم وإعطائهم الحرية. وعدم منعهم من التصريح بعقائدهم الباطلة!!.

وفي المقابل نجد أن ورثة الأنبياء إذا أُسروا وأهينوا وعذبوا وقُهروا لا نجد لهم نصيرًا من أتباعهم ولو في الجلسات العادية. فتمر هذه الحادثة وكأن شيئاً لم يكن. ونجدهم وقد نسوا هذا الشيخ الذي جلسوا في حلقات علمه عشرات الأيام صباحاً ومساءً. فصار اسمه لا يُذكر في كلامهم ولا يُستشهد بأقواله وعلمه في خطبهم ومقالاتهم!. وحتى إن لم يكن ممن تلقوا العلم عنده. فأين نصرة ورثة الأنبياء؟ أهذا هو قدر العلماء وطلبة العلم عند بعضهم البعض؟

ولنأخذ مثالاً من هؤلاء الأعلام الذين صمدوا في السجون وهم مستمسكون بالحق الذي أنزله الله على نبيه الكريم صلى الله عليه وسلم يوم أن بدّله الكثير حتى تسلم له دنياه. إنه العالم الحافظ المحدِّث سليمان بن ناصر العلوان -فك الله أسره-. ولو كنّا في زمن يعرف الحق لأهله لما احتجنا للتعريف بمثل هذا العَلم. ويكفينا هنا أن ننقل قول العلامة الشيخ حمود العقلاء -رحمه الله- في الشيخ فقال: «لقد التقيت بكثير من الحفظة. ولكني لم أرَ من جمع بين الحفظ والفهم إلا الشيخ سليمان فإني لا أعرف أحداً في المملكة يضارعه في ذلك». وقد أثنى عليه الكثيرُ من العلماء وعجبوا من علمه وقوة حفظه واستحضاره لأقوال العلماء. فقد كان آية في الحفظ والفهم وضرب مثالاً حياً للهمة في طلب العلم. وقد نُظم فيه:

الله أكرمه فأصبح آية ** في الحفظ والإتقان من آياته

والآن هذا الشيخ تمر عليه الأيام تلو الأيام وهو لا يزال في سجنه أسيراً عند جلادي آل سعود. وخلاصه من هذا السجن هو أن يتفوه بكلمة الباطل ليرضي بها الحكام فيخرج ليعود للتدريس والتعليم. ولو افترضنا هذا -لا قدر الله- وعاد الشيخ للتدريس

فلا يشك كثير من طلبة العلم أن الناس بعدها سترى الشيخ على أنه من «كبار العلماء»، ولسارت بسيرته الركبان، ولقطعت إليه الأميال والأميال حتى تُثنى عنده الرُكب، ولكن هل لهذا طلب الشيخ العلم؟ هل كان العلماء الصادقون يتعلمون العلم ليتصدروا في المجالس وكي يفوقوا أقرانهم؟.

لا، بل كان الشيخ سليمان العلوان -كما نحسبه- كسلطان العلماء العز بن عبد السلام -رحمه الله- يوم تحالف حاكم زمانه «الصالح إسماعيل» مع الصليبيين وأسلمهم قلعة صفد وقلعة الشقيف وصيدا وغيرها حتى يسلم له كرسيه، فأدخلهم دمشق وسمح لهم بشراء السلاح لقتال المسلمين في مصر، «وما أشبه اليوم بالبارحة» ففي هذه الأثناء كان لابد أن يعرف هذا السلطان قدره وأن يعرف أن للدين علماء يقفون في وجه الباطل ولا يرضونه، فكان العز بن عبد السلام ومعه بعض العلماء، فصعد على المنبر فشنَّع على السلطان وأنكر فعلته وحرم على الناس بيع الأسلحة للصليبيين «وما أعظمها من جريمة في عيون من ينتسب إلى العلم الآن فقد خالف بذلك ولي أمره!»، فما كان من الحاكم «كما هم الآن» إلا أن يصدر أمراً بإعفاء العز من الخطابة والإفتاء وأمر باعتقاله هو وابن الحاجب المالكي لمساندته للعز، ثم أفرج عنهما، وحاول أن يجذبهما إليه ويسترضيهما، فأرسل لهم رسولاً كي يفاوض العز على الخضوع لأمر الحاكم «ولو كان في يومنا هذا لأرسل لهم أحد مشايخ لجنة المناصحة!» فأوصاه بأن يتلطف معه وأن يعده بالرجوع إلى مناصبه من الخطابة والإفتاء وتعليم الناس، فإن وافق سيدخل عليه، وإن خالف سيُسجن بخيمة بجانب خيمته، فلما اجتمع رسول السلطان مع سلطان العلماء شرع في مسايسته وملاينته، ثم قال له: «بينك وبين أن تعود إلى مناصبك وما كنت عليه وزيادة، أن تنكسر للسلطان وتُقَبِّل يده لا غير. فقال له: يا مسكين، ما أرضاه أن يُقبِّل يدي، فضلاً أن أقبِّل يده، يا قوم، أنتم في وادٍ، وأنا في واد والحمد لله الذي عافاني مما ابتلاكم به، فقال له: قد رسم لي إن لم تُوافق على ما يطلب منك وإلا اعتقلتك فقال: افعلوا ما بدا لكم، فأخذه واعتقله في خيمة إلى جانب خيمة السلطان، فأخذ سلطان العلماء يقرأ القرآن، والسلطان يسمع، فقال يوماً لملوك

الصليبيين: أتسمعون هذا الشيخ الذي يقرأ القرآن؟ قالوا: نعم. قال السلطان: هذا أكبر قسوس المسلمين، وقد حبسته، لإنكاره عليّ تسليمي لكم حصون المسلمين، وعزلته عن الخطابة بدمشق، وعن مناصبه، ثم أخرجته، فجاء القدس وقد جددت حبسه واعتقاله لأجلكم. فقال ملوك الفرنجة: والله لو كان هذا قسيسنا؛ لغسلنا رجليه، وشربنا مرقتها». والقصة بأكملها موجودة في طبقات الشافعية الكبرى للسبكي «وتلك الأيام نداولها بين الناس»، وهنا نقول: ماذا لو كان العز بن عبد السلام فينا اليوم؟ هل سيكون المفتي العام؟ أو أنه سيكون خلف القضبان؟.

لست هنا لأتكلم عن سيرة الشيخ العلوان، ولست هنا لأبين حكم الشرع في فكاك الأسرى فقد بينه الشيخ نفسه في مقالة له باسم: «أمريكا والأسرى»، ولكن هذا الموضوع لأبين عظم الخذلان الذي لقيه هذا الشيخ الفاضل وأمثاله من المشايخ من طلبتهم ومن طلبة العلم -إلا من رحم الله-، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: «ما من امرئ يخذل امرأ مسلماً في موطن ينتقصُ فيه من عرضِهِ، وينتهك فيه من حرمته إلا خذله الله تعالى في موطن يُحبُ فيه نصرته، وما من أحد ينصُرُ مسلماً في موطن ينتقص فيه من عرضه، وينتهك فيه من حُرمته إلا نصره الله في موطن يحب فيه نصرتهُ»، حتى أن الكثيرين ممن أثنوا الركب عند الشيخ العلوان ما عاد يذكرون أقواله في الأحاديث والرجال ولا أقواله الفقهية وترجيحاته!، هل سمعتم أحداً على المنبر أو في حلقة علم يقول هذا الحديث صححه الشيخ العلوان أو ضعفه العلوان؟ رغم أنه من أئمة هذا العلم..... أي خذلان هذا؟

وما رأينا أحداً سعى في فك أسرهم إلا نادراً وعلى استحياء، حتى أصبحت طبقة «طلبة العلم» في دولة آل سعود من أكثر الطبقات خضوعاً للحكومة سواء عن طريق الترهيب أو الترغيب، فلهم النصيب الأكبر من تكميم الأفواه وتقييد الأفكار سواء من ناحية المنع من الخطابة وإلقاء الدروس أو من ناحية حجب مواقع الدعاة والعلماء ولا حول ولا قوة إلا بالله! وما أمر المعتوه الأعرابي الأخير بحصر الفتوى إلا من جهات تأتمر بأمره لخير دليل.

فأي خضوع أكبر من خضوع يجعلك تبدل آيات الله وتشتري بها ثمناً قليلاً؟ وأي

خضوع أكبر من أن يجعلك تكتم الحق وأنت تعرف أنه حق ثم تنطق بضده!؟. ويا طلبة العلم إن السكوت عن هذا لن يجدي أي نفع حتى لكم!

فبدايةً سجن الطواغيت كل من يفتي بالجهاد. والآن يسجنون كل من يناصر المجاهدين ويحبهم.

وضايقوا وسجنوا من عارض حوار الأديان الذي لا يشك واحد من طلبة العلم الصغار في كفر من دعا إليه!

وضايقوا من أفتى بحرمة الاختلاط في جامعة المعتوه عبد الله بن عبد العزيز. وجعلوه في القوائم السوداء ومن المغضوب عليهم ومن الضالين.

والقائمة تطول.. ففي المستقبل -وهلاكهم قريب بإذن الله- سيسجنون كل من يعارض نزع الحجاب وغيرها من المسلمات التي عند أهل الإسلام. فإما بعدها أن تعارضوهم فتقبعون في السجون. وإما أن تسيروا على أهوائهم وتسكتوا عن باطلهم.

إننا نقول لبعض طلبة العلم لإن قعدتم عن نصرة المسلمين في العراق وتركتم الصليبيين يطيرون من أراضيكم ليقتلوا المسلمين بلا أي معارضة. وكذلك فعلتم مع المسلمين في أفغانستان!

ونقول لهم: قد سكتم عن ظلم الصين لإخواننا في تركستان الشرقية. وسكتم عن مجازر النصارى في نيجيريا. لم تستجيبوا لصرخات فاطمة في سجن أبي غريب. ولم تحركوا شبراً للانتقام لعبير وصابرين الجنابي!

لم تكلفوا أنفسكم أدنى مشقة في فكاك أسر وفاء قسطنطين وعبير ناجح وياسمين وماري عبد الله وماريان مكرم وكريستين مصري وتيريزا إبراهيم وكاميليا وغيرهن من اللواتي تبرئن من النصرانية وأسلمن وجوههن لرب العالمين ثم بعد هذا قام الأقباط الحاقدون في مصر بأسرهن وتعذيبهن حتى يرجعن للكفر بعد أن ذقنَ حلاوة الإسلام!

ولم يؤرق نومكم أسر عافية صديقي المسلمة الشريفة الضعيفة في سجون أمريكا!

بل وحتى لم تتكلموا عن هؤلاء كلهم في خطبكم ولم تفتوا بوجوب نصرتهم -إلا من رحم الله منكم- فهلا سعيتم لتخليص مشايخكم من السجون التي في أراضيكم؟ أما يستحق الشيخ العلوان وغيره أن نكون فداءً له؟

يقول ابن العربي المالكي في أحكام القرآن بعد ذكر الأسرى المستضعفين: «إن الولاية معهم قائمة، والنصرة لهم واجبة بالبدن بألا تبقى منا عين تطرف حتى نخرج إلى استنقاذهم إن كان عددنا يحتمل ذلك، أو نبذل جميع أموالنا في استخراجهم، حتى لا يبقى لأحد درهم كذلك قال مالك وجميع العلماء، فإنا لله وإنا إليه راجعون على ما حل بالخلق في تركهم إخوانهم في أسر العدو، وبأيديهم خزائن الأموال وفضول الأحوال» اهـ.

والله غالب على أمره، ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

والحمد لله رب العالمين.

أخرج ابن باكويه، عن الفضيل بن عياض، قال: (لو أن أهل العلم أكرموا على أنفسهم وشحوا على دينهم، وأعزوا العلم وصانوه، وأنزلوه حيث أنزله الله، لخضعت لهم رقاب الجبابرة وانقاد لهم الناس، واشتغلوا بما يعنيهم، وعز الإسلام وأهله لكنهم استذلوا أنفسهم ولم يبالوا بما نقص من دينهم، إذا سلمت لهم دنياهم وبذلوا علمهم لأبناء الدنيا ليصيبوا ما في أيديهم، فذلوا وهانوا على الناس)

﴿فَسْئلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾

ما يؤخذ من أموال الكفار بغير إذن الإمام

الشيخ: أبو يحيى الليبي

بسم الله الرحمن الرحيم

إذا غنمت مجموعة من المجاهدين بغير إذن الإمام، فكيف يكون تقسيم الغنيمة؟

الجواب : الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد :

الأموال التي تؤخذ من الكفار تكون على قسمين :

الأول : الغنيمة، وهي كل مال أخذ من الكفار بطريق الغلبة والقهر، قال الجرجاني: [الغنيمة: اسم لما يؤخذ من أموال الكفار بقوة الغزاة وقهر الكفرة على وجه يكون فيه إعلاء كلمة الله تعالى، وحكمه أنه يخمس، وسائره للغانمين خاصة](التعريفات١٣٣)، وفيه نزل قول الله تعالى : {وَاعْلَمُواْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لله خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن كُنتُمْ آمَنتُمْ بِاللّهِ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللّه عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ }(الأنفال٤١)

الثاني : الفيء وهو المال المأخوذ من الكفار مما لم يوجف عليه من خيل ولا ركاب أي أنه لم يؤخذ منهم بطريق القوة والقهر والغلبة قال الجرجاني: [الفيء: ما رده الله تعالى على أهل دينه من أموال من خالفهم في الدين بلا قتال، إما بالجلاء، أو بالمصالحة على جزية أو غيرها](التعريفات١٣٨)، وفيه نزل قول الله تعالى : {وَمَا أَفَاء اللّه عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللّه يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَن يَشَاءُ وَاللّه عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * مَّا أَفَاء اللّه عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاء مِنكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللّه إِنَّ اللّه شَدِيدُ الْعِقَابِ} (الحشر٦-٧)، وقد جاء التفريق بين الغنيمة والفيء في قول النبي صلى الله عليه وسلم (أَيُّمَا قَرْيَةٍ أَتَيْتُمُوهَا، وَأَقَمْتُمْ فِيهَا، فَسَهْمُكُمْ فِيهَا، وَأَيُّمَا قَرْيَةٍ عَصَتِ اللّه

وَرَسُولَهُ، فَإِنَّ خُمُسَهَا لله وَلِرَسُولِهِ، ثُمَّ هِيَ لَكُمْ)رواه أحمد ومسلم عن أبي هريرة.
قال الإمام النووي رحمه الله: [قال القاضي: يحتمل أن يكون المراد بالأولى الفيء الذي لم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب بل جلا عنه أهله أو صالحوا عليه فيكون سهمهم فيها أي حقهم من العطايا كما يصرف الفيء، ويكون المراد بالثانية ما أخذ عنوة، فيكون غنيمة يخرج منه الخمس وباقيه للغانمين وهو معنى قوله: ثم هي لكم أي باقيها](شرح النووي على صحيح مسلم١٢/٩٦)

وقد اختلف العلماء فيما لو دخلت طائفة من المسلمين دار الحرب بغير إذن الإمام فأخذوا منها مالاً كيف يكون حكمه على أقوال :

القول الأول: أن الآخذين إذا كانوا ذوي منعة وقوة فإن كل ما أخذوه يعتبر غنيمة يجب فيه التخميس، فيأخذ منهم الإمام خُمس ما غنموه ليضعها في مصارفها ويعطيهم أربعة أخماسه، وسواء كان دخولهم دار الحرب وأخذهم المال منها بعلم الإمام وإذنه أم لا، وهو مذهب أبي حنيفة والشافعي ورواية عن أحمد، قال المرغيناني من الأحناف: [فإن دخلت جماعة لها منعة فأخذوا شيئا خمس وإن لم يأذن لهم الإمام](بداية المبتدي١١٧)، وقال الإمام السرخسي الحنفي رحمه الله: [الذين خرجوا من مصر من أمصار المسلمين إما أن يكونوا قوماً لهم منعة أو لا منعة لهم خرجوا بإذن الإمام أو بغير إذنه، فإن كانت لهم منعة فسواء خرجوا بإذن الإمام أو بغير إذنه فإن ما أصابوه غنيمة يخمس ويقسم ما بقي بينهم على سهام الفرسان والرجالة المصيب وغير المصيب فيه سواء] (المبسوط١٠/٥٣)، وقال الكاساني رحمه الله : [إذا دخل جماعة لهم منعة دار الحرب فأخذوا أموالاً منهم فإنها تقسم قسمة الغنائم بالإجماع، سواء دخلوا بإذن الإمام أو بغير إذنه لوجود الأخذ على سبيل القهر والغلبة لوجود المنعة القائمة مقام المقاتلة حقيقة.](بدائع الصنائع٧/١٩٦)، والظاهر أن الإجماع الذي حكاه الإمام الكاساني هنا إنما قصد به إجماع أهل المذهب الحنفي وإلا فالخلاف موجود بين العلماء ومنه رواية عن الإمام أحمد رحمه الله تعالى كما قال الإمام ابن قدامة رحمه الله: [وإن كانت الطائفة ذات منعة غزوا بغير إذن الإمام ففيه روايتان: إحداهما: لا شيء لهم وهو فيء للمسلمين. والثانية: يخمس والباقي لهم وهذا أصح.] المغني٨/٣٧٨.

الثانـــي: إذا دخل واحد أو اثنان أو طائفة دار الحرب بإذن الإمام أو بدون إذنه ســواء كانوا ذوي شــوكة أم لم يكونوا كذلك فكل مــا أخذوه يجب فيه التخميس، فيأخذ الإمام خمــس ما أصابوه ويقســم أربعة الأخمــاس بينهم على الوجه الشــرعي، وهذا هو مذهب الشــافعي، ورواية عــن أحمد، وحكاه الإمام النووي عــن الجمهور فقال رحمه الله: [وإذا دخل واحد أو شرذمة دار الحرب مستخفين، وأخذوا مالاً على صورة السرقة، فوجهــان، أحدهما وبه قطع الغزالي، وادعــى الإمام أنه المذهب المعروف: أنه ملك من أخذه خاصة، والأصح الموافق لكلام الجمهور: أنه غنيمة مخمسة، وقد قال الأصحاب: لو غزت طائفة بغير إذن الإمام متلصصين وأخذت مالاً، فهو غنيمة مخمسة](روضة الطالبــين٥٥/٩)، وقال الإمام ابــن قدامة رحمه الله [فصل: إذا دخل قوم لا منعة لهم دار الحــرب بغير إذن الإمام فغنموا، فعن أحمد فيه ثلاث روايات: إحداهن: أن غنيمتهم كغنيمة غيرهم يخمســه الإمام ويقســم باقيه بينهم وهــذا قول أكثر أهل العلم منهــم الشــافعي لعموم قوله ســبحانه: {وَاعْلَمُوا أَنَّمَــا غَنِمْتُمْ مِنْ شَــيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ}(الأنفال: ٤١)، والقياس على ما إذا دخلوا بإذن الإمام.](المغنــي٣٧٨/٨)

الثالث: إذا كان الداخلون دار الحرب بغير إذن الإمام لامنعة ولا شوكة لهم فما أخذوه يســتحقونه كله ولا يكون فيه الخمس، وهو مذهــب الحنفية ورواية عن الإمام أحمد رحمــه الله، وحكاه ابن كج وجهاً في مذهب الشــافعي وأبطلــه النووي، قال الإمام السرخســي رحمه الله: [فــإن كان دخول القوم الذين لا منعة لهــم بغير إذن الإمام على ســبيل التلصص فــلا خمس فيما أصابوا عندنا، ولكن من أصاب منهم شــيئاً فهو لــه خاصة وإن أصابوا جميعاً قســم بينهم بالســوية ولا يفضل الفارس على الراجل](المبسوط٥٤/١٠)، واحتجوا في ذلك بما: [روى أن المشركين أسروا ابناً لرجل من المسلمين فجاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يشكو ما يلقى من الوحشة، فأمره أن يستكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ففعل ذلك، فخرج الابن عن قليل بقطيع من الغنم فســلم ذلك له رســول الله صلى الله عليه وسلم ولم يأخذ منه شيئاً.

والمعنى ما بينا أن الغنيمة اســم لمال مصاب بأشرف الجهات وهو أن يكون فيه إعلاء

كلمة الله تعالى وإعزاز الدين ولهذا جعل الخمس منه لله تعالى، وهذا المعنى لا يحصل فيما يأخذه الواحد على سبيل التلصص فيتمحض فعله اكتساباً للمال بمنزلة الاصطياد والاحتطاب بخلاف ما إذا كانوا أهل منعة وشوكة.](المبسوط ١٠/٥٤).

والحديث الذي استدل به الإمام السرخسي لا يصح وهو بكامله: [عن محمد بن إسحاق رحمه قال: جاء مالك الأشجعي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: أُسر ابني عوف فقال: أرسل إليه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرك أن تكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله، فأتاه الرسول فأخبره، فأكب عوفٌ يقول لا حول ولا قوة إلا بالله، وكانوا قد شدوه بالقد فسقط القد عنه، فخرج فإذا هو بناقة لهم فركبها، فأقبل فإذا هو بسرح القوم فصاح بهم، فأتبع آخرها أولها فلم يفجأ أبويه إلا وهو ينادي بالباب، فقال أبوه عوفٌ وربِ الكعبة، فقالت أمه واسوأتاه، وعوف كئيب بألم ما فيه من القد، فاستبق الأب والخادم إليه، فإذا عوف قد ملأ الفناء إبلا، فقص على أبيه أمره وأمر الإبل، فأتى أبوه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بخبر عوف وخبر الإبل، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : اصنع بها ما أحببت وما كنت صانعاً بإبلك، ونزل : {ومن يتق الله يجعل له مخرجا * ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه}(الطلاق٢-٣).] قال الحافظ المنذري في الترغيب والترهيب : [رواه آدم بن أبي إياس في تفسيره ومحمد بن إسحاق لم يدرك مالكا].

وقال الكاساني في بيان حجتهم في ذلك أيضاً : [لأن الغنيمة والغنم والمغنم في اللغة اسم لمال أصيب من أموال الحرب وأوجف عليه المسلمون بالخيل والركاب، وكذا إشارة النص دليل عليه، وهي قوله سبحانه وتعالى: {وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلاَ رِكَابٍ} أشار سبحانه وتعالى إلى أنه ما لم يوجف عليه المسلمون بالخيل والركاب لا يكون غنيمة، وإصابة مال أهل الحرب بإيجاف الخيل والركاب لا يكون إلا بالمنعة، إما حقيقة أو دلالة، لأن من لا منعة له لا يمكنه الأخذ على طريق القهر والغلبة فلم يكن المأخوذ غنيمة بل كان مالاً مباحاً فيختص به الآخذ كالصيد، إلا إن أخذاه جميعاً فيكون المأخوذ بينهما، كما لو أخذا صيداً، أما عند وجود المنعة فيتحقق الأخذ على سبيل القهر والغلبة](بدائع الصنائع٧/١٩٦).

وقال الإمام ابن قدامة رحمه الله: [وإذا دخل قوم لا منعة لهم دار الحرب بغير إذن الإمام، فغنوا ففي غنيمتهم ثلاث... والثانية: هي لهم من غير خمس، لأنه اكتساب مباح من غير جهاد، أشبه الاحتطاب.](الكافي٤/٢٢٧)

الرابع: أن المال المأخوذ من أهل الحرب بغير منعة ولا إذن من الإمام يعتبر فيئاً، فيرجع في تقسيمه إلى اجتهاد الإمام حسب ما تقتضيه المصلحة، بمعنى أن الآخذ للمال ليس مستحقاً له بمجرد أخذه إياه، وإنما يرجع أمر المال إلى الإمام تماماً كما هو الحال في الفيء، وهذا القول رواية عن الإمام أحمد رحمه الله. قال الإمام ابن قدامة رحمه الله : [وإذا دخل قوم لا منعة لهم دار الحرب بغير إذن الإمام، فغنوا ففي غنيمتهم ثلاث روايات... والثالثة: هي فيء لا شيء لهم فيها، لأنهم عصاة بفعلهم، فلم يملكوها، كالسرقة من المسلمين.](الكافي٤/٢٢٧)، ووجه المعصية هو عدم استئذانهم الإمام، لما في ذلك من التغرير إذ قد يغيب على تلك الطائفة أمور ومخاطر يحيط بها الإمام، وليست المعصية هي أصل دخولهم دار الحرب وأخذهم أموال أهلها لأنها مباحة أصالة بالإجماع، بل ذكر بعض أهل المذهب الحنبلي أن ذلك مكروه وليس بمحرم، قال الإمام أبو يعلى : [ويكره لطائفة قليلة أن تغزو بغير إذن الإمام لأنه أعرف بالطرقات وأوقات الحرب، ومكان الحرب وخلاف غيره لاهتمامه بذلك، فإن كان بإذنه أرشدهم وهداهم إلى ما هو أصوب، فإذا تركوا الأصوب كره لهم ولأنه إذا كان بإذنه كان ردءاً لهم وعلى خبرتهم حتى إذا احتاجوا إلى مدد بادر به إليهم وإذا لم يكن بإذنه لم يعلم بهم فربما نالهم ما لا طاقة لهم به فهلكوا](المسائل الفقهية٢/٣٥٠)

الخامس : أن من دخل دار الحرب بغير إذن الإمام وأصاب منها، فأمره راجع للإمام إن شاء عاقبه فحرمه ما أخذ وإن شاء خمّسه، وهذا القول فيما يظهر - والله أعلم - مبني على مسألة جواز التعزير بأخذ المال، فكأن أصحاب هذا القول يرون أن صاحبه الذي أصابه هو مستحق له ابتداء إلا أن حرمانه منه لكفه عن المعاودة ولردع مَن سواه ألاَّ يتجرأ على مثل فعله، وهو قول الإمام الأوزاعي ورواية عن الإمام أحمد، وقول الإمام سحنون من أئمة المالكية على اختلافات طفيفة في بعض التفاصيل، قال الإمام الشافعي رحمه الله : [قال الأوزاعيُّ: إذا خرجا بغيرِ إذنِ الإمام، فإنْ شاء عاقبهما وحَرَمَهُما، وإنْ

شاء خَمَّسَ ما أصابها ثم قَسَّمَهُ بينهما](الأم٧/٢٩٧)، وقال أبو يعلى من الحنابلة : [نقل محمد بن يحيى الكحال : من غزا بغير إذن الإمام لم يكن له في الغنيمة حق . فظاهر هذا أحرمه الغنيمة...وجه الأولى: أنا قد ذكرنا ما في ذلك من الغرر بهم والخطر فجاز أن يحرموا هذه الغنيمة ليكون منعاً لهم عن مثل ذلك كما حرم القاتل الميراث.](المسائل الفقهية٢/٣٥٠)، وظاهر كلام بعض أئمة الحنابلة أن هـذا والذي قبله هما قول واحد، بمعنى أن ما أخـذه مَن دخل دار الحرب بغير إذن الإمام إنما صار فيئاً يُحرم منه الآخذون عقوبة لهم وذلك لافتئاتهم على الإمام ومخاطرتهم وتغريرهم بأنفسهم، فكأن معصيتهم بعدم استئذان الإمام بعدما حرمتهم أخذ المال صيَّرته فيئاً، ولهذا قال ابن مفلح: [فإن دخل قوم لا منعة لهم ...والمراد بها القوة والدفع دار الحرب بغير إذنه أي إذن المعتبر إذنه وهو الإمام المتغلب فغنموا فغنيمتهم فيء على المذهب لأنهم عصاة بفعلهم وافتئاتهم على الإمام لطلب الغنيمة فناسب حرمانهم كقتل المورث] (المبدع٣/٣٥٠)، وجاء في (التاج والإكليل٣/٣٧٤) : [قال سحنون في سرية تخرج في قلة وغرر بغير إذن الإمام فغنموا فإن للإمام أن يمنعهم الغنيمة أدبا لهم، فقال سحنون فأما جماعة لا يخاف عليهم فلا يحرمهم الغنيمة وإن لم يستأذنوه يريد وقد أخطؤا]

الراجح / والذي يظهر - والله تعالى أعلم - رجحانه أن الحكم على المال بكونه غنيمة أم فيئاً إنما هو تابع للهيئة والكيفية التي تم الاستيلاء بها عليه، فإن كان أخْذه وانتزاعه وقع على سبيل الغلبة والقهر والقوة فيكون غنيمة يخرج خمسه ويعطى أربعة أخماسه للغانمين، وأما إن لم يكن كذلك فهو فيء يرجع أمره إلى الإمام يضعه حيث شاء من مصالح المسلمين كما هو الراجح في حكم الفئ، فالمعتبر ليس فقط كون الطائفة التي تدخل دار الحرب بغير إذن الإمام ذات منعة أم لا، وإنما لا بد من النظر إلى صورة أخذ المال من أيدي الكفار وهيئة الاستيلاء عليه، فقد تدخل طائفة ذات قوة وشوكة ومنعة دار الحرب فتأخذ مالاً لا على سبيل الغلبة والقهر وإن كان الغالب خلاف ذلك، مع القول بجواز أن يعاقب الإمام من دخل دار الحرب بغير إذنه فغنم أو أخذ مالاً إما بحرمانه مما أخذ أو بعضه، لأن الصحيح من أقوال العلماء هو جواز التعزير بأخذ المال لا سيما إذا كانت المعصية متعلقة بالمال نفسه كالغلول ومنع المقدور

عليه للزكاة ونحوها، وبيان وجه رجحان ما ظهر في هذه المسألة هو :
أن الأئمة شبه متفقين إجمالاً على أن مسمى الغنيمة هو المال المأخوذ من أهل الحرب على سبيل القهر والغلبة، وأن مسمى الفيء هو المال الحاصل للمسلمين من أموال الكفّار بغير قتال ولا إيجاف خيل ولا ركاب . فالفرق بين الغنيمة والفيء : [أنّ الغنيمة ما أخذ من أهل الحرب عنوةً والحرب قائمة، والفيء ما أخذ من أهل الحرب بغير قتال ولا إيجاف خيل .](الموسوعة الفقهية)، قال العلامة الشنقيطي رحمه الله: [اعلم أولاً أن أكثر العلماء فرقوا بين الفيء والغنيمة فقالوا: الفيء: هو ما يسره الله للمسلمين من أموال الكفار من غير انزاعه منهم بالقهر، كفيء بني النضير الذين نزلوا على حكم النَّبي صلى الله عليه وسلم ومكنوه من أنفسهم وأموالهم يفعل فيها ما يشاء لشدة الرعب الذي ألقاه الله في قلوبهم، ورضي لهم صلى الله عليه وسلم أن يرحّلوا بما يحملون على الإبل غير السلاح، وأما الغنيمة: فهي ما انتزعه المسلمون من الكفار بالغلبة والقهر، وهذا التفريق يفهم من قوله: {وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ} مع قوله: {فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلاَ رِكَابٍ} فإن قوله تعالى: {فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ}: ظاهر في أنه يراد به بيان الفرق بين ما أوجفوا عليه وما لم يوجفوا عليه كما ترى...وعلى هذا القول فلا إشكال في الآيات، لأن آية {وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ} ذكر فيها حكم الغنيمة، وآية {مَّآ أَفَآءَ اللَّه عَلَىٰ رَسُولِهِ} ذكر فيها حكم الفيء وأشير لوجه الفرق بين المسألتين بقوله: {فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ} أي فكيف يكون غنيمة لكم، وأنتم لم تتعبوا فيه ولم تنتزعوه بالقوة من مالكيه.](أضواء البيان٢/٢١٩)
فإذ ذلك كذلك فحكم كل مال تابع لمسماه وحقيقته وذلك مرتبط بصورة أخذه وكيفية وقوعه في أيدي المسلمين فإن كان انتزاعاً بقوة فغنيمة وإلا ففيء، والذي يظهر أن من ربط الأمر بكون الداخلين دار الحرب بغير إذن الإمام أنهم ذوو منعة وشوكة هو أن الغالب فيمن هذا حاله أن يكون المال الواقع بأيديهم هو بطريق القوة والقهر فأجرى الحكم على الغالب، كما أن من جعل المال الذي يقع في أيدي من لا شوكة لهم ولا منعة فيئاً لأن الغالب فيمن هو بهذه الصفة أن يكون ما أخذه بغير قوة وقهر وغلبة لفقده لها فأجرى الحكم على الغالب أيضاً ولم يُنظر في كلا

الحالتين إلى شواذ الصور ومفرداتها.

فما دام الأمر على هذه الحال، فكل طائفة دخلت دار الحرب بغير إذن الإمام وأصابت مالاً من أهلها نُظر، فإن كان أخذ المال جارياً بطريق القوة والغلبة والقهر فهو غنيمة يُقسِّمها الإمام قسمتها الشرعية، فيأخذ خمسها ليضعه في مصارفه ويعطي الطائفة المُنتزعة الأربعة أخماس على حسب حالهم للراجل سهمٌ وللفارس ثلاثة أسهم، سهم له وسهمان لفرسه، وذلك لقول الله تعالى : {وَاعْلَمُواْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ للّه خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن كُنتُمْ آمَنتُمْ بِاللّهِ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللّه عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ }(الأنفال٤١)، وقد صح أن المال المأخوذ يُسمى غنيمة شرعاً فوجب إجراء الحكم عليه سواء كان قليلاً أم كثيراً، وسواء كان الآخذ واحداً أو أكثر

وإن كان المال مأخوذاً بغير القهر والقوة والغلبة (أي بغير قتال) فهو فيء يُسلمه آخذوه إلى الإمام ليصرفه حسب ما يرى من وجوه المصالح ولا يختص الآخذون به كما هو الراجح من حكم الفيء، لأنهم لم يُوجفوا عليه بخيل ولا ركاب فيجري عليه قول الله تعالى : {وَمَا أَفَاء اللّه عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللّه يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَن يَشَاءُ وَاللّه عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * مَّا أَفَاء اللّه عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاء مِنكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللّه إِنَّ اللّه شَدِيدُ الْعِقَابِ}(الحشر٦-٧)، قال شيخ الإسلام رحمه الله : [(ما أوجفتم) أي ما حركتم ولا أعملتم ولا سقتم، يقال : وجف البعير يجف وجوفاً وأوجفته إذا سار نوعاً من السير، فهذا هو الفيء الذي أفاءه الله على رسوله، وهو ما صار للمسلمين بغير إيجاف خيل ولا ركاب وذلك عبارة عن القتال أي ما قاتلتم عليه، فما قاتلوا عليه كان للمقاتلة، وما لم يقاتلوا عليه فهو فيء لأن الله أفاءه على المسلمين](الفتاوى الكبرى٤/٢٣-٢٤)، وأما منع الإمام من دخل دار الحرب بغير إذنه مما أخذ عقوبة له فهو جار على القول بجواز التعزير بالعقوبات المالية وهو الراجح إذا أدى اجتهاد الإمام ونظره إليه، لأن أمر الجهاد وقتاً وزمناً وصفة في الأصل موكول إلى

الإمام لأنــه أدرى بأحوال أعدائه ومكامن قوتهم وضعفهــم وتحين الفرصة لغزوهم، فــإذا أقدمت طائفة على ذلك بغير إذنه فهو افتئات عليه فله أن يُعزر على ذلك كما يعزر على غيره من المعاصي التي لا حد فيها، وهذا عند وجود الإمام وقيامه بواجبات الجهــاد وعدم تعطيله لــه، وأما عند فقده - كما هو في عصرنــا - فلا يعطل الجهاد بذلك بل يؤول الأمر إلى من يَخلفه في هذا الباب وهم قادة المجاهدين ورؤساؤهم كلٌّ في نطاق عمله وعلى من هم تحته وتَبَعه من المجاهدين إلا في مسألة تعزيرهم بأخذ شــيء مما غنموا فلا يظهر جواز ذلك هنا لعدم قوة الافتئات في هذه الحالة لا ســيما وقد قال بعض العلماء - منهم الشافعي - بأن دخول طائفة من المسلمين دار الحرب بغيــر إذن الإمام الأعظم أو نائبه لا يرتقي إلى الحرمــة وإن قيل بالكراهة لأنه لا يعدو أن يكون مشــتملا على التغرير والمخاطرة وتقحم المهالك وكل ذلك ليس بمستعظم ولا مستنكر في الجهاد، جاء في (المجموع شرح المهذب / ٢١/ ٢٩) : [يكره الغزو من غير إذن الإمــام، أو من غير إذن الأمير المنصوب من جهة الإمام ولا يحرَّم، لأنه أعرف بجهاد العــدو منهم، وأنــه القادر على أن يمدهم ويعينهم، وإذا غــزوا من غير إذنه، لم يحرم عليهم، ســواء كانوا في منعة، أو غير منعة، لأن عملهم ليس فيه أكثر من التغرير بالنفــس، ويجوز التغرير بالنفس فــي الجهاد.] ونظير ذلك في (الأم٤/٢٩٢)، والقول بأن ذلك ليس فيه أكثر من التغرير بالنفس ليس بمســلم بل قد يكون ســبباً في تهييج الكفار وإثارتهم حتى يرتكبوا أشــياء لا تحمد ضد المســلمين مع عدم اســتعدادهم وتهيئهــم فيحصل بذلك من الأضرار والمفاســد ما لا يخفى، ثــم إن القول بأن أصل الجهــاد موكــول إلى الإمــام أو من يقوم مقامه يلــزم منه أن يكون مــن مهامه التي يختص بها وترجع إليه ولا تُســيَّب لآحاد الرعية وأفرادهم وإلا فلا معنى لإيكال الأمر لــه، وأما عند انعدامه وفقدانه بموت أو غلبة كفار أو تعطيل منه للجهاد مع القدرة عليــه فينتقل الأمر لمن ينوب عنه في باب الجهاد وهــم أمراء المجاهدين وقادتهم ومن يتولون أمورهم على ما بينا والله تعالى أعلم.

وكتبه أبو يحيى الليبي

٢٩/شوال/١٤٢٦

لك يوم يا ظالمني!

أبو محمد الخراساني

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين وبعد:

شاهدنا إصدار مؤسسة الأندلس الرائع «غزوة المنصورة» والذي أعاد لنا في مقدمته ذكرى مأساة مجزرة سجن أبي سليم، حيث رأينا أمهاتنا اللواتي فقدن أبنائهن في تلك المجزرة الشنيعة التي ارتكبها القذافي وزبانيته، وكان من بينهن أمنا التي قالت للقذافي بعد أن ترحمت على ابنها وتلت قول ربها «وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ» بعدها قالت لهذا الطاغوت المخبول: «لك يوم يا ظالمني»!

فسبحان من أجرى هذه الكلمات على لسان هذه المرأة التي نطقت بهذه الكلمات بكل ثقة ويقين، وبقيت تلك الجملة تتردد في مسامعنا كل حين ننتظر إجابتها فهي دعوة المظلوم التي لا يردها مجيبُ الداعي إذا دعاه سبحانه وتعالى فقد قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : «ثلاث دَعَوات لاشكّ في إجابتهنَّ، دعوة المظلوم، ودعوة المسافر، ودعوة الوالِد على وَلَده» وقال: «دعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام، ويقول: وعزتي وجلالي لأنصرنك ولو بعد حين». ويقول عليه الصلاة والسلام -وهو يوصي معاذاً لما أرسله إلى اليمن: «اتقِ دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب».

وكم من أم مظلومة فُجعت بمقتل ابنها لا لجرم اقترفه وإنما لأنه نصر الله ورسوله فدعت ربها من أعماق قلبها على القذافي وزبانيته الفجار. وها هو الله سبحانه

وتعالـى يسـتجيب لدعائهـن ودعـاء المظلومـين ويرينا سـنته في هـلاك الظالمين وأعوانهم. ولا أنسـى كذلك دعاء أمنا الأخرى التي فقدت ابنيها في تلك المجزرة حيث قالـت بلهجتها: «خيَّبْ مَرْجَاكـم ياللي خيّبتوا مَرْجَانا». فسـبحان الله الذي يُمهِل ولا يُهمِـل، فهـذا القذافي قد خيب الله مسـعاه طوال هذه السـنين وصار من أرذل الناس في هذه الأرض فالكل يتبرأ منه المسلم والكافر، والقريب منه والبعيد، والوزير والخفيـر، والشـرقي والغربي، والصالح والطالح، وما بقي معـه إلا مرتزقة يرضون أن يبيعوا دينهم وشعبهم وقبائلهم وأهليهم وعرضهم من أجل المال!

ونقـول لباقي الطواغيت وخاصة طواغيت آل سـعود والذين امتلأت سـجونهم من إخواننا الذين لا ذنب لهم سوى دفاعهم عن الإسلام والمسلمين.

نقـول لهم: سـواء أطال بكم العمـر أم قصر، فسـتذوقون ما ذاقـه إخوانكم في الردة والفجور «ابن علي» و«اللامبارك» و«القذافي» سـواء بأيدي أفراد الشعب الذين حرّفتـم دينهم، وسـجنتم فلـذات أكبادِهم، ونهبتـم ثرواتِهم، وأفسـدتم أبناءهم وبناتِهـم، وجعلتم أرضهم قاعدة يدك بها الصليبيون إخوانهم المسـلمين؛ أو بأيدي من باع النفيس والغالي لإعلاء كلمة الله ونشـر نور الإسلام الذي تريدون أن تطفئوه بأفواهكم وأفواه علماء السـوء! وحينها ستخذلكم أمريكا وبريطانيا وفرنسا كما خذلت من قبلكم، بل وسـيخذلكم ويتبرأ منكم علماء السـوء الذين اشتروا بآيات الله ثمناً قليلاً ليدوم حكمكم الذي به يعلو شأنهم الدنيوي ويرتفع جاههم، وتزيد ثرواتهم وتنتفخ بطونهم! فانتظروا إنَّا منتظرون.

والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

والحمد لله رب العالمين.

كفران النعمة

عكرمة البنجابي

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .. أما بعد.

فالقصص الذي قصه الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم عن الأمم السابقة ليس للتسلية ولا للتفنن والاستعلاء بجمال التعبير، وإنما هي عبرة لأولي الألباب وتذكير بالأمم الغابرة وكيف كانت نهاية الطاغية المتجبرة المعرضة اللاهية منها لنحذر من السير على خطاها وأن نستوي نحن وهم في البضاعة، فتكون خاتمتنا وخاتمتهم سواء!

ومن بين القصص الذي ورد في القرآن في هذا الشأن قصة أهل القرية التي (كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللهِ فَأَذَاقَهَا اللهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ) (وهذه القرية هي مكة المشرفة التي كانت آمنة مطمئنة لا يهاج فيها أحد، وتحترمها الجاهلية الجهلاء حتى إن أحدهم يجد قاتل أبيه وأخيه، فلا يهيجه مع شدة الحمية فيهم، والنعرة العربية فحصل لها من الأمن التام ما لم يحصل لسواها وكذلك الرزق الواسع) .

وما فيضانات باكستان من هذه القصة ببعيد، فلقد كانت دولة آمنة مطمئنة لها شأن وقوة إقليمية ودولية، وتكاد تنافس الهند التي تضاعفها أضعافاً من حيث عدد السكان والمساحة والموارد كفرسي رهان في كافة المجالات السياسية والعسكرية والاقتصادية، ولكن باكستان استسلمت لسلسلة من الحكومات العسكرية الانقلابية وفتحت الباب على مصراعيه لكبار المفسدين من السياسيين والعسكريين والإقطاعيين والرأسماليين، وفسحت المجال لتشكيل أحزاب طائفية وعرقية ليتنافس

الجميع في التهام المستطاع من الغنيمة فظلت باكستان تتقهقر باستمرار، بينما ظلت الهند فترة محافظة على قوتها ومكانتها ومستواها الاقتصادي -وإن كان متخلفاً بالنسبة للقوى الاقتصادية الكبرى-، ثم فوجئ العالم بصحوة هندية وثورة تكنولوجية خطت بها خطوات هائلة لتصبح من القوى الصاعدة الواعدة رغم عدد سكانها الذي تجاوز المليار منذ سنوات، بينما وصلت باكستان إلى الحضيض وحافة الإفلاس وذهبت مكانتها وهيبتها في عالم لا يعترف إلا بالذئاب ولا يحترم إلا الأقوياء، وكانت النهاية الأليمة بعد الانسياق وراء لعبة الديمقراطية المزيفة والتي جاءت بـ«بي نظير بوتو» -تلك المرأة الفاجرة- لتولي رئاسة الوزارة ولتطلق العنان لحزبها الإجرامي ليكون المسمار الأول في نعش الدولة الإسلامية النووية الوحيدة!

ولن نخوض في الأسباب التي أوصلت الهند إلى تلك القوة والمكانة بحيث تخطب كل القوى الكبرى ودها، ومن أراد من كبار قادة العالم الاستفادة من قوتها الاقتصادية ودفع عجلة الإنتاج والاستثمار الخارجي في بلده فعليه الذهاب إلى «نيودلهي» أولاً لتوقيع اتفاقيات الشراكة الاقتصادية والسياسية والإستراتيجية مع شن دعاية إعلامية مناهضة لإسلام آباد، ثم يذهب إلى باكستان لإعطاء الأوامر خلف الكواليس، ثم عقد مؤتمرات صحافية جوفاء مع الدمى التي تناوبت الحكم فيها خلال الاثنتين وعشرين سنة الماضية للتفوه بعبارات زائفة عن العلاقات الإستراتيجية وأهمية الدور الباكستاني في حفظ الأمن والاستقرار في المنطقة!

وكذلك لن نخوض في تفاصيل المؤامرات السياسية الداخلية ولا التدخلات الخارجية الإقليمية فيما يحدث من مشكلات أمنية وسياسية واقتصادية في الساحة الباكستانية، ولكننا سنذكر سبباً رئيساً لهذا الانزلاق السريع إلى قعر الحضارة والمدنية وخسران الدنيا والآخرة بالنسبة للشعب الباكستاني، إلا أن يتغمدهم الله برحمته ويهيئ لهم حكومة إسلامية راشدة تعيدهم إلى جادة الصواب ومن ثمّ يفتح الله عليهم بركات من السماء والأرض.

وهذا السبب هو كفران نعمة الله عليهم، حيث جعل أفغانستان جارة لهم

تشاطرهم الدين والمذهب والعرق والأرض، وتدفع عنهم العدوان الهندوسي الحاقد حيث كان يأتي السلاطين الأفغان وأشهرهم السلطان محمود الغزنوي -رحمه الله- بجيوشه ليدفع القوات الهندوسية الصائلة إلى بلادها ويطاردها ويكسر شوكتها ويدمر بنيانها ثم يعود ظافراً لينعم المسلمون في هذه المنطقة بالأمن والسلام!

وجاء السوفييت بخيلهم ورجلهم ليكتسحوا أفغانستان بهدف الوصول إلى باكستان ومنها إلى الخليج، فيهاجر خمسة ملايين مسلم أفغاني إلى باكستان فراراً بدينهم والتفرغ لوقف الزحف الأحمر عن المنطقة، ولتكون باكستان هي المأوى والملاذ لهم وقاعدة الانطلاق لمواجهة العدوان وتحرير الأرض والعرض. ولتفتح لباكستان أبواب السماء، فتنهال عليها الأموال من كل مكان خاصة الدول الخليجية مع قدوم الآلاف من المسلمين لنصرة إخوانهم، والمشاركة في الجهاد بالنفس والمال. ولقد توالى وصول مليارات الدولارات لباكستان للإنفاق على المهاجرين الأفغان ومساعدة الذين لم يهاجروا في الداخل بالمأكل والملبس والصحة والتعليم، لمدة عشر سنوات حتى انهزم السوفييت هزيمة مدوية مجلية وانسحبوا صاغرين من أفغانستان.

وكان من بركات الأموال التي أنفقت في باكستان ومخيمات المهاجرين الأفغان وانتشارهم في شتى المدن الباكستانية أن تحول الكثير من المدن التي كانت أشبه بالقرى الريفية في واقع الأمر إلى مدن كبيرة لها شهرة عالمية خاصة «بيشاور» و«ميران شاه» و«ديره إسماعيل خان» و«وانا» و«كويتا» وغيرها، فضلاً عن الاتساع العمراني المتسارع في المدن الكبرى مثل «كراتشي» و«لاهور» و«راولبندي» و«إسلام آباد» وغيرها. واتسعت الأعمال التجارية والصناعية، وحقق رجال الأعمال والرأسماليون وأصحاب البنوك والمصارف المالية مكاسب خيالية. وحدثت طفرة في التصنيع الحربي والمدني لمواجهة الاستهلاك المتزايد من المهاجرين والمجاهدين والأنصار، وبالتالي زيادة الأيدي العاملة فقلت نسبة البطالة إلى غير ذلك مما يطول شرحه.

وحصل الجيش الباكستاني على تركة لا تقدر بثمن من الأسلحة والمعدات والمستلزمات العسكرية السوفيتية وحتى الأمريكية غنيمة باردة. بجانب الخبرات العسكرية

والقتالية والتقنية التي استفادوا منها في التخطيط والإعداد والتموين للمجاهدين الأفغان، والتي جعلت الجيش الباكستاني من أقوى جيوش العالم نظامياً وبرياً.

ثم لما انسحب السوفييت من أفغانستان يلعقون جراحهم وتشتت شملهم، وتمزقت دولتهم شذر مذر، وصدرت التعليمات من البيت الأبيض لعملائه بالخليج بقبض الأيدي والكف عن مساعدة الأفغان، ووارت المؤسسات والهيئات الإغاثية الخليجية أبوابها، وتوقف سيل مليارات الدولارات الذي كان يتدفق على باكستان، عند ذلك قلبت للمجاهدين والمهاجرين والأنصار ظهر المجن، وبدأت حملة اعتقالات ومداهمات وتسليم للأنصار من الدول العربية والإسلامية، وأغلقت المخيمات وضيِّق على الأفغان نفسياً ومادياً ومعنوياً، وأصبح الضيوف الكرام والإخوة الأعزاء من الأفغان وأنصارهم ضيوفاً ثقالاً ومطاردين، فكان هذا أول كفران النعمة!

ثم لما وقعت غزوتا الحادي عشر من سبتمبر المباركتان، وأعلنت الولايات المتحدة الحرب على أفغانستان كانت باكستان أول الداعمين والمؤيدين لها، بل تحولت باكستان إلى رأس الحربة في محاربة المجاهدين واعتقال المئات منهم وتسليمهم للسلطات الأمريكية لتفعل بهم الأفاعيل، ولم تكتف بذلك بل جندت جيشها وأجهزتها الأمنية وشرعت رماحها ووجهت أسلحتها لمواطنيها من سكان القبائل لترتكب ضدهم أبشع المجازر -ولازالت- فكان ذلك تمام كفران النعمة.

وتمشياً مع سنة الله الكونية في معاقبة الأمم التي تكفر نعمته وتحارب أولياءه، وتبغي الفساد في الأرض، وتطبيقاً للقانون الإلهي: «وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً»، ولذا فنحن نرى أن من تمام التوبة ومن أعظم أسباب دفع النقم ونزول البلاء هو الوقوف في وجه هؤلاء المفسدين المتجبرين، وعدم الاستكانة أمام هذا الكفر البواح الذي يعصف بالبلاد، وإلا فإننا نخشى أن يحل علينا غضب من الله وينزل على بلادنا الرجز والعذاب وقد قال تعالى : {ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} أعاذنا الله والمسلمين من كل شرٍّ وسوء.

قصيدة غزلية...
في الحزام الناسف

أبو الحسن الوائلي

امْـزُج حَشَـاك حَبيـبـي فـي أحْشَـائِي
واغْـفُ علـى صَـدْرِي فـذاك دَوَائِـي
واشْـدُدْ علـى جِيـدِي يَدَيْـكَ وَلا تَكُـنْ
خَـجِـلاً ففـي هـذا العِنَـاقِ هَـنَـائِـي
وصِـلِ المتـيَّـمَ فـي هَـوَاك فَـهَجْـرُكُـم
ألقـى الهـوانَ وَزَادَ مِـنْـهُ عَـنَـائِـي
يـا حِـبُّ فَـجِّـرْ ذا الهـوان بِوَصْلِكِـم
وازْرَع شـظايا الحُـبِّ فـي أعضائِـي
وانْسِـفْ بِبُـعْـدٍ لـم أذُقْ مـنـه سـوى
بُـعْـدًا عـن اللّـذات والنَّـعْـمْـاءِ
والـطُـفْ بـصَـبٍّ موتُـه فـي بُـعـدِكـم
وارحـم فـديتـك لا تكـون الـنـائِـي

إني ذكرتك حينما بَعُدَ اللِّقا

فوددت فيك تمزَّقت أشلائي

ووددت من فرْط اشتياقيَ أنَّ لي

سبعين نفسًا يُردى فيها عِدائي

فالوصل قد غاظ العُذُولَ وحزبَهم

أفتوْا بحرمةَ أن تكون شِفائي

فدع العذولَ ومن يلومُ فإنهم

قالوا: وصالك قد يَزيد شَقائي

أما أنا رجَّحت قولَ محبِكم

في أن وصلك غاية لرجائي

وتبعت قول القائلين بحبكم

وطرحتُ قوْلَ المرجفين ورائي

إنِّي لأعتقد الخلودَ بوصلكم

وبأنه يُفضِي إلى العلْيَاءِ

وبأن من يزهو بحبك صائبٌ

في الحب لستُ أقول بالإرجاءِ

اقتلوها وإن تعلقت بأستار الكعبة!

جدك عبد اللطيف

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وبعد:

فقصتنا اليوم أحفادي الأعزاء تدور حول واحد من أعدى أعداء الإنسان، وهو لا يخرج إلا للإفساد كما يفعل أفراد الأمن والاستخبارات في بلداننا، ولا أدل على خبثه من احتمال أن يكون أصله من بني إسرائيل فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فُقدت أمة من بني إسرائيل لا يُدرى ما فعلت، ولا أراها إلا الفأر، ألا ترونها إذا وُضع لها ألبان الإبل لم تشربه، وإذا وضع لها ألبان الشاء شربته» متفق عليه، ولذا كاد أن يودي بالحياة البشرية من على وجه الأرض، عندما وقع يخرز في سفينة نوح عليه السلام بقرضه فأوحى الله عز وجل إليه أن اضرب بين عيني الأسد، فخرج من منخره سِنَّور وسِنَّورة فأقبلا على الفأر.

بل قيل إنه كان السبب في انهيار سد مأرب وتفرق قوم سبأ في البلاد فقد قال قتادة والضحاك: (بعث الله عليهم جرذاً يسمى الخلد -والخلد الفأر الأعمى- فنقبه من أسفله فأغرق الله به جناتهم وخرَّب الله به أرضهم).

ومن شدة إفساده وإيذائه للبشر يُقْتل في الحل وفي الحرم، حيث يقول صلى الله عليه وسلم: (أَرْبَعٌ كُلُّهُنَّ فَاسِقٌ يُقْتَلْنَ فِي الْحِلِّ وَالْحَرَمِ: الْحِدَأَةُ وَالْغُرَابُ وَالْفَأْرَةُ وَالْكَلْبُ الْعَقُورُ) -رواه مسلم-.

هذا هو الفأر -أو الجرذ- الذي يتفنن الإعلام الكرتوني في إبراز ذكائه وإظهاره بصورة محببة ومشوقة لدى الأطفال والكبار معاً حتى أنهم يدفعهم للتعاطف معه بل ويدعو إلى تربيته واستئناسه في البيوت!

الفارق بين الفأر والجرذ:

أمـا الفأر فهو حيـوان صغير ذو فرو رقيق وذيل طويل دقيـق. ويبلغ طول الفأر المنزلي ٦ - ٨ سم بدون الذيل. والذيل مساو في الطول أو أقصر قليلاً من طول الجسم. وتزن معظـم الفئـران المنزلية من ١٤ - ٢٨ جـم. ويختلف حجمها ووزنهـا وأطوال ذيولها كثيرًا بين الأنواع المختلفة، وأحياناً بين أفراد النوع الواحد.

وكلمة فأر ليسـت اسـماً لنوع واحد من الحيوان أو فصيلة من الحيوانات؛ فكثير من أنـواع القوارض (الحيوانات القاضمة) يطلق عليها فأر. وهي تشـمل الجرذان الصغيرة واليربوع وفئـران المحصول وفئران الأيائل وفئران الجندب. ويوجـد ٨٨٠ نوعًا من الفئران توجد في الجبال والحقول والغابات والمستنقعات وبجوار الأنهار وفي الصحراء.

وأما الجُرذ -العِرسة أو العِريسة- فهو حيوان ثديي فرائي، يشبه الفأر، لكنه أكبر منه لدرجـة أن أصغر أنواع الجرذان يكون أكثر من أكبر الفئران حجمًا ووزناً. وهناك حوالي ١٢٠ نوعًا من الجرذان أهمها شهرة الجرذ الأسود والجرذ البني ويعتبران من أهم مصادر الأخطار الحيوانية التي تهدد البشـر، حيث إنها تنقل الجراثيم المسـببة للعديد من الأمراض بما في ذلك الطاعون الدَبْلي والتسـمم الغذائي وحمى التيفوس. كما تدمر الجرذان المحاصيل والأغذية وتقتل الدواجن والحملان.

لماذا الحديث عن الفويسقة دون غيرها؟

ولكـن لماذا اختـرت الحكاية عن الفأر -أو الفويسـقة- ولم أكمـل الحديث عن عائلة غشـائية الأجنحة التي بدأناها بالنمل وبقي فيهـا الحديث عن النحل والزنبور؟ وقد يتساءل طفل ماكر: هل ما عندك إلا الحديث عن الحشرات والحيوانات ونحن في ساحة الجهاد وقصص المجاهدين والشهداء ثرة ومتواترة؟

ونبدأ بالإجابة عن السـؤال الثاني فنقول: إن ظروف الهجرة والجهاد قد حرمت أحفادنا الأعـزاء من الذهاب إلى المـدارس العليا والكليات الجامعية للاطـلاع على علوم الدنيا ومعرفة أسـرار الكون وعظيم خلق الله في أضعف الكائنـات الحية، فأردنا صياغتها بأسـلوب سهل ولطيف ليسـتطيعوا اسـتيعاب تلك العلوم فتزيدهم إيمانا ويقيناً واعتقاداً.

أما الإجابة عن السؤال الأول فالسبب في الكلام عن الفأر هو انتقالنا إلى بيت جديد سبقنا في سكناه ضيفان غير مرغوب فيهما، وهما زوج من الفئران لم يفد معهما وضع الطعام في صندوق كبير جداً من المعدن، حيث كانا يتسللان من ثقب صغير أعيتنا الحيلة في إغلاقه لافتقاد اللحام واللاصق المناسب وصعوبة المكان الذي يوجد فيه الثقب على الإغلاق بالطين أو الإسمنت أو الخشب أو غير ذلك. وزاد الطين بلة أنه رغم الارتفاع الكبير للصندوق، فإنهما كانا في قفزة واحدة يصعدان فوقه، وبأختها يكونان على الأرض، وبسرعة البرق يختفيان.

وكان من قدر الله أن اشترينا مصيدة للفئران ولكنها كانت صدئة، فنضع فيها الطُعْم ليحاول الفأر التهامه بقوة فتنطبق عليه وتخلصنا منه، إلا أنه كان يصعد عليها ويلتهم الطُعْم وينزل بسلام وكأننا نقدم لهما وجبة شهية للضيافة! وفي مرة شعرت به داخل صندوق من الورق المقوى (كرتونة) كنا قد وضعنا بها عصير قصب سكر مجفف وزبيب وغيرهما فوق الصندوق المعدني فأخذت الكرتونة وأنزلتها على الأرض بهدوء، وأوسعت المكان، وأغلقت الباب، وأمسكت نعلاً شديد المراس لانهال به على رأسه، ولكن ما إن حاولت فتح غطاء الكرتونة حتى كان الفأر بقفزة واحدة خارجها، وعندما قمت بالاستدارة بكل قوة لأفتك به ارتطمت كتفي بالباب المعدني للغرفة فجُحِشَتْ واستطاع الفرار سالماً!

ذكريات قبل ولادة أبيك

وهذا أعاد بي الذاكرة إلى قرابة الثلاثين عاماً، حيث قد كنت تزوجت حديثاً في شقة في أطراف مدينة القاهرة، وفي ليلة ليلاء اكتشفت وجود فأر تحت السرير في غرفة النوم، ولم تكن لي أي خبرة سابقة بهذه الحيوانات المؤذية، فنزلت تحت السرير واقتربت منه في خفة، وعندما أراد الفرار أمسكته من ذيله، فما كان منه إلا أن استدار بجسمه وعضني في يدي، فنزلت عليه بكل قوة باليد الأخرى فساويته بالأرض. ولكن بعد التخلص منه كانت المشكلة البحث عن طبيب ليحقنني ضد الأمراض الخطيرة التي تنقلها الفئران وكانت الساعة بين الثانية والثالثة صباحاً فأخذت صاحب العمارة ودرنا نبحث عن طبيب يكون مناوباً في الليل، وبعد لأيٍ

وجدنـاه والحمد لله، حيث حققنني ورجعت لأكمل النـوم لأني كنت أذهب إلى الدوام بعد شروق الشمس لبعد المسافة الشاسع بين البيت والمكتب.

وأخيراً انتقمت لنفسي، فبعد ذلك قمت بتغيير المصيدة بواحدة حادة وجديدة وبفضل الله أمسكت به فقسمته نصفين، وبعد التخلص من الجثة وتطهير المصيدة نصبتها مرة ثانية لشريكة حياته حيث لا يمكن للفأر الذكر أن يعيش أعزب في الجحر، وإنما إن وجدت فأراً وتمكنت منه فابحث عن شريكته أو شريكه، وربما الذرية إن كانا كبيرا الحجم ولهما فترة في المكان، المهم أن المصيدة أمسكت بشريكة حياته أيضاً وأحضرنا هرة في البيت لنتأكد من عدم عودتها إليه لأن الفئران لا تجتمع معها أبداً في مكان.

وللعلم فإن المصيدة هي أفضل وسيلة للقضاء على الفئران في حالة عدم وجود هرَّة، مع عدم وجود حيوانات أليفة أو أطفال صغار في البيت، لأن المصيدة من الممكن أن تؤذيهم أو تكسر لهم الأصابع أو تجرحهم جرحاً بليغاً. ولقد مرت بنا تجربة ظريفة حيث كان عندنا ذكر الحمام الذي كتبت عنه في الحلقة الأولى، وكان البيت مملوءاً بالفئران فأحضرت مصيدة وجهزتها ووضعتها في مكان مظلم تحت السرير في الطريق الذي تسلكه الفئران، ولكن قدر الله أن ذكر الحمام دخل تحت السرير وعندما أراد أن يأكل من اللقمة التي وضعناها كطعم أطبقت المصيدة على فخذه فجرح جرحاً شديداً، وبعد أن خلصته منه كان يعرج بشدة ومع هذا العرج كان يقوم بمهامه الزوجية كالمعتاد، ونحن نضحك عليه.

أما استعمال السم لقتل الفئران ففيه محذورات منها: أن الحيوانات الداجنة والأليفة قد تأكل الطُعْم الذي يحتويه فتموت. أو يموت الفأر في جحره أو في الدولاب أو صندوق الملابس أو الأطعمة، فيفسد رائحتها تماماً، وينغص على أهل البيت عيشتهم.

دورة حياة الفويسقة في سطور:

والآن نعطي أحفادنا الأعزاء فكرة سريعة عن دورة حياة الفأر فنقول إن معظم إناث الفئران المنزلية تبدأ في الحمل والولادة عندما تبلغ من العمر حوالي ٤٥ يومًا، وأن مدة الحمل ١٨ - ٢١ يوماً. وتضع الأنثى نحو ٥ - ١٠ من الصغار في كل مرة. وأولاد الفأر

تســـمـِى أدراصاً والواحد دِرْص. والفئران الحديثة الولادة لها جلد وردي اللّون، وليس لها فراء، وعيونها مغلقة، وهي عاجزة تماماً.

وعندمــا تبلغ من العمر ١٠ أيام يغطي أجســـامها فراء ناعـــم. وعندما تبلغ ١٤ يوماً تفتح أعينها. وتبقى صغار الفئران بجوار الجحر -الوجر- لمدة ثلاثة أسابيع تقريباً بعد الولادة ثم تذهب لبناء أوجارها الخاصة، وتبدأ في تكوين أسرة خاصة بها.

تعدي ضرر الفئران للزروع والنحل:

وكما أن الفأر ضار للبشـــر في إفســـاد طعامهم وإصابتهم بالأمراض الخطيرة، فإنه مفسد كذلك للزرع حيث توجد منه أنواع متخصصة في استيطان الحقول وتسمى بـ«فـــأر الحقـــل أو الزرع». وفأر الـــزرع يتفنن في قـــرض جذور النباتات وقلف الشـــجرة فيدمرها، وتحمل بعض أنواع فأر الزرع البراغيث والقراد التي تحمل بدورها أمراضاً مثل الطاعون وحمى الأرانب. ولم يتوقف إفســـاد الفأر عند ذلك بل تعدى هذا ليكون من أكثـــر الكائنات الحية إيذاءً للنحل، حيث يهاجم الخلية فيأكل العســـل ويلوث أجواء الخلية، فتطلق عليه مجموعة من العاملات فتلدغه حتى يموت ولما كانت لا تستطيع إخـــراج جثته من الخلية فإنها تغلفه بمادة شـــمعية تفرزها فلا ينـــتن ولا يتغير حتى يخرجه صاحب المنحل.

ولما كان الله ســـبحانه وتعالى قد أحســـن كل شيء خلقه فإنه جعل لكل كائن حي كائنًا آخرا -أو كائنات- يحد من عدده للحفاظ على التوازن البيئي، ولنا أن نتخيل مع دورة حياة الفئران السريعة وبلوغها في سن مبكرة جداً وولادتها على الأقل خمسة فـــي كل حمل كم كان ســـيكون عددها لو لم يكن هناك العديـــد من الأعداء الذين يقللون من تلك الأعداد باســـتمرار، وربما كان البشر أخطرهم على الفأر المنزلي، فهم ينصبون المصايد ويضعون سموماً حيث يمكن للفأر أن يجدها بسهولة. ويشكل كل حيـــوان آكل للحم عـــدواً للفأر المنزلي، فالقطط والكلاب تصيـــد الفئران من المنازل، والثعالـــب والثعابين والحيوانات الأخرى تصيدها من الغابـــات وأراضي الغابات، والبوم والصقـــور والطيور الجارحة الأخرى تنقـــض عليها في الحقول والحدائق، والجرذان وحتى الفئران المنزلية الأخرى هي أيضاً من الأعداء، ولذلك فإن عدداً قليلاً من الفئران البرية

يمكنها البقاء لأكثر من شهرين أو ثلاثة.

فائدة الفئران العلمية والطبية:

ورغم ما ذكرناه عن خطورة الفأر من الناحية الاقتصادية والصحية فإن له حسنات حيث يفيد في التجارب العلمية والسيكولوجية وتجربة أمصال مضادة وعقاقير معالجة لكثير من الأمراض الخطيرة التي تصيب البشر.

فقد أجرى عالم النفس الأمريكي «بي. إف سكنر»، تجارب مهمة في الثلاثينيات من القرن الماضي، حيث قام بتدريب الفئران على ضغط رافعات للحصول على الطعام. وفي إحدى التجارب وضع فأرًا جائعًا في صندوق خاص يحتوي على رافعة مزودة ببعض الطعام المخفي. في البداية جرى الفأر حولها بلا انقطاع، وأخيرًا ضغط الفأر على الرافعة وسقط الطعام في الصندوق.

كما أن فأر المختبر يُخْتَبَرُ لمعرفة قدرته على التَّعلم في متاهة بسيطة على شكل حرف T في الأعلى. يضع الباحثون الفأر في المتاهة ويحسبون الوقت الذي يستغرقه في اكتشاف طعامه. وبعد التكرار لمرات قليلة يتعلم الفأر اكتشاف طعامه بسرعة أكبر.

كما أنهم كانوا يضعون فأراً في متاهة، ويربطون ذيله بسلك كهربائي، وينظرون إليه من أعلى، كلما أخطأ الطريق صعقوه بتيار كهربائي خفيف فيضيء الفأر، وهكذا حتى يحدث أحد الأمرين: إما يجد الفأر طريقه إلى خارج هذه المتاهة بخفي حنين، أو يحترق من كثرة الصعق.

صور من إفساد الفأر المنزلي:

والفأر المنزلي مثل القوارض الأخرى له أسنان أمامية قوية وحادة تنمو طوال حياته. وبهذه الأسنان، يمكن أن يحفر ثقوبًا في الخشب، وأن يمزق اللفائف ليصل إلى الطعام داخلها.كما يمكنه تدمير الكتب والملابس والأثاث. وهو يأكل تقريبًا كل شيء يأكله الإنسان. فهو يتغذى بأي مادة نباتية أو حيوانية يجدها، كما يأكل المواد المنزلية الأخرى مثل الغراء والجلد والطلاء والصابون.

ولذلك لا يمكن لذلك أن يخلو بيت من الطين من الفئران ولا الحوائط الأسمنتية التي

تكون طبقة الأسـمنت فيها رقيقـة وهناك فروق بين الآجر تحتها. ويمكن اكتشـاف مكان جحر الفأر بسـهولة حيث يكون هناك ثقب في الحائط قرب الأرض مهما كان ضيقاً لأن جسمه مرن جداً يفتقد للعظام فينزلق فيها بسهولة. ويكون أمام الجحر تراب أو نشـارة خشـب ناتج من حفر الفـأر للطين أو قرضه للخشـب. ومن ثم وضع المصيـدة في طريقه حيث أنـه لا يتحرك كثيراً في البيت. ويظـل في الجحر لفترات طويلة ولا تزيد مساحة تحركه عن دائرة قطرها ٦٠ متراً.

الختام: من نوادر الفئران:

ونذكـر من نوادر الفئـران أن المصيدة عندي في إحدى المرات اصطادت الزوج معاً وكان من كثرة عدد الفئران والجرذان في ذلك البيت أجهز المصيدة في الليلة الواحدة مرتين وثلاثـة وتصيد في كل مرة. وبنفس اللقمة التي لم أكن أغيرها إلا كل ليلة! وكذلك فإن إحدى الأخوات أثناء النوم شـعرت بأن أحداً يحرك القرط في أذنها. وعندما مدت يدها لتمسك باليد التي تعبث به. فوجئت بأن المداعب كان أحد الفئران! بل إن إحدى الأخوات كانت تسـمع صوتاً ينبعث من سرير إحدى بناتها. وعندما تحرت عن السبب اتضـح أنه أحد الفئران كان ينام مع تلك الفتاة في الفراش وكلما تقلبت في نومها تضغط عليه فيحدث ذلك الصوت! أما أغرب نوادر الفئران فهو ما حكاه الشيخ عمر الأشقر صاحب كتاب «العقيدة في الله» من أنها إذا شربت من الزيت الذي في أعلى الجرة ينقص ويعز عليها الوصول إليه في أسفلها فتذهب وتحمل في أفواهها الماء ثم تصبه في الجرة حتى يرتفع الزيت ويقترب منها ثم تشربه!

ونختم الحديث عن الفئران والجرذان بقول النبي صلى الله عليه وسـلم عندما سئل عن فأرة وقعت في سمن فماتت فقال: (ألقوها وما حولها وكلوا سمنكم)وفي رواية (سـئل عن الفأر تقع في السـمن فقـال إن كان جامدًا فألقوها ومـا حولها وإن كان مائعاً فلا تقربوه).

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد ألا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

لقمة كادت أن تهلك أبا بكر -رضي الله عنه-

أبو شيبة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين، وبعد:

فعن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: كان لأبي بكر مملوك يغل عليه، فأتاه ليلة بطعام، فتناول منه لقمة، فقال له المملوك: مالك كنت تسألني كل ليلة ولم تسألني الليلة؟، قال: حملني على ذلك الجوع، من أين جئت بهذا؟ قال: مررت بقوم في الجاهلية فرقيت لهم فوعدوني فلما أن كان اليوم مررت بهم فإذا عرس لهم فأعطوني، قال: أف لك كدت أن تهلكني!، فأدخل يده في حلقه فجعل يتقيأ وجعلت لا تخرج، فقيل له إن هذه لا تخرج إلا بالماء، فدعا بعس من ماء فجعل يشرب ويتقيأ حتى رمى بها فقيل له يرحمك الله كل هذا من أجل هذه اللقمة فقال: لو لم تخرج إلا مع نفسي لأخرجتها سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: «كل جسد نبت من سحت فالنار أولى به» فخشيت أن ينبت شيء من جسدي من هذه اللقمة. [أخرجه أبو نعيم في الحلية، وصححه الألباني في صحيح الجامع، وأخرج البخاري من حديث عائشة طرفا منه].

نتأمل ما جاء في الأثر من جديد:

غلام مملوك يأتي بطعام إلى الصديق رضي الله عنه ومن شدة الجوع أكل أبو بكر لقمة منه بدون أن يسأله عن مصدر هذا الطعام كما هي عادته في كل ليلة مع هذا الغلام.

[أحب الرجال إلى النبي -صلى الله عليه وسلم-، وصاحبه في الغار، وخليفته من بعده، وأفضل الناس بعد الأنبياء، والموعود بالجنة من رسول الله صلى الله عليه وسلم، والذي نزلت فيه الآيات «وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى وَمَا لِأَحَدٍ

عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى وَلَسَوْفَ يَرْضَى»[1]. هذا الصديق يجوع فلا يجد لقمة يأكلها، فماذا نقول ونحن الذين لا ندري أين يُصار بنا -نسأل الله رحمته وعفوه وغفرانه وفردوسه الأعلى- وماذا يقول الذين تمتلئ بطونهم ولا يجدون فيها مكاناً فارغاً يسع لقمة واحدة!؟. ثم ومع هذا الجوع ومع هذا التقلل من الدنيا الفانية يسود الصحابة العالم ويفتحون الأمصار ويخوضون المعارك، ويخرجون للغزو في سبيل الله في الحر وفي أشق الظروف، فمال المسلمين اليوم صاروا أذل أمة مع ما معهم من الدنيا وزخرفها؟ ولكن النصر ليس بكثرة الطعام ولا بقوة الأجسام ولا بالتكنولوجيا والاختراعات، إن المعادلة هي«إِنْ تَنْصُرُوا اللَّه يَنْصُرْكُمْ» إن المعادلة هي قول النبي صلى الله عليه وسلم: «من كانت همه الآخرة جمع الله له شمله، وجعل غناه في قلبه، وأتته الدنيا راغمة، ومن كانت همه الدنيا فرّق الله عليه أمره، وجعل فقره بين عينيه، ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب الله له».

ثم لما أكلها وسدت شيئا من جوعه -رضي الله عنه- يقول له هذا الغلام: أتدري من أين جئت بهذا؟ فيقول له: من أين؟، فيقول الغلام: قد تكهنت لإنسان في الجاهلية ولم أكن أعرفها وإنما خدعته فلما لقيته اليوم أعطاني الطعام بذلك، فيقول له الصديق: أفٍ لك! كدت أن تهلكني!

[لقمة واحدة يقول عنها الصديق أنها كادت تهلكه!، فماذا يقول الحكام وأعوانهم الذين امتصوا خيرات الأمة لهم ولأهلهم؟ وماذا يقول علماء السوء الذين يشترون بآيات الله متاع الحياة الدنيا من مسكن ومركب وجاه !؟.... نعود للصديق: هل تبقى هذه اللقمة الحرام في جسده الطاهر؟، هل ينام الليل وهي في بطنه؟ هل سيقول «أستغفر الله» ثم ينساها في بطنه وكأن شيئاً لم يكن؟]

ثم يدخل يده في حلقه كي يتقيأ فتخرج هذه اللقمة التي يرى أبو بكر رضي الله عنه أن هلاكه بهذه اللقمة، ثم تقيأ فعلا ولكنها لم تخرج!.

[هل سيقول «لا يكلف الله نفسا إلا وسعها» ثم يدعها تستقر في بطنه؟ هل

١- قال ابن كثير: وقد ذكر غير واحد من المفسرين أن هذه الآيات نزلت في أبي بكر الصديق، رضي الله عنه، حتى إن بعضهم حكى الإجماع من المفسرين على ذلك.

سيقول فعلت ما عليَّ وأستغفر الله.. ؟]

ثم يُقال له إن هذه لا تخرج إلا بالماء. ثم يطلب الصديق رضوان الله عليه قدحاً كبيراً من الماء حتى يشرب ويتقيأ ثم يشرب ويتقيأ وهكذا حتى خرجت هذه اللقمة التي كانت ستهلكه. ثم يقال له: يرحمك الله كل هذا من أجل لقمة؟

[كل هذا من أجل لقمة يا أبا بكر؟ فماذا لو رأيتنا اليوم ؟]

ثم يقول الصديق: والله لو لم تخرج إلا مع نفسي لأخرجتها!

[الصديق يحلف بالله، وإذا حلف الصديق بالله فإنه لا يحنث. يحلف أنها إذا لم تكن قد خرجت إلا مع نفسه لأخرج نفسه. فلماذا كل هذا يا أبا بكر؟]

فيقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «كل جسد نبت من سحت فالنار أولى به» فخشيت أن ينبت شيء من جسدي من هذه اللقمة.

ثم يقول في إحدى الروايات «اللهم إني أعتذر إليك مما حملت العروق وخالط الأمعاء»

[الآن هو وقت الاستغفار. فعندما أخرج هذا الحرام من جسده استغفر الله من البقية التي خالطت أمعاءه وحملتها عروقه! رضي الله عنه وجمعنا به في الفردوس الأعلى مع حبيبنا وحبيبه محمد صلى الله عليه وسلم..]

[وفي هذا الأثر درس عظيم في الزهد في الدنيا وترك زينتها. وفيه درس عظيم في الورع. وفيه درس عظيم في شدة الخوف من النار وعذابها. وقبل هذا فيه درس عظيم لمعرفة أبي بكر الصديق رضي الله عنه. وكذلك فيه درس عظيم لمعرفة الفرق بيننا وبين ذلك الجيل العظيم.]

أسأل الله تعالى أن يجمعنا بالنبي صلى الله عليه وسلم وبصحابته الكرام في الفردوس الأعلى.

والحمد لله رب العالمين.

أم مجاهد... وجهاد أمة

أبو الفداء الشامي -تقبله الله-

أمة الإسلام .. دستورها القرآن والسنة، تتلقى منهما تعاليمها وتترجمهما على أرض الواقع، يترابط أفرادها برابطة الدين، فما جاء فيه من الأمر فهم يتلقونه جميعهم، الرجال والنساء الصغير والكبير كل بحسبه وكما أمره الله.

ومن ذلك الجهاد .

بين يديَّ رسالة لأخي الغالي أبـي مصعب المكي تقبله الله الـذي قُتل قبل بضعة أشهر، كتبها يحكي جهاد أمه، لتسجل صفحة مشرقة تضم إلى جانب صفحات بطولات نساء الأمة في الماضي والحاضر، ولتصطف تحت عنوان كبير في تاريخنا ألا هو اشتراك الأمة جميعها بكل طبقاتها وطاقاتها في الجهاد ولدحر الكفرة من ديارنا.

فأمة الإسلام تنظر إلى الهجوم على بلادها على أنه غزو من قبل الكفار على بلاد الإسلام، ينبغي مجاهدته وإزالته.

إن الذين يحاولون أن يوهموا الناس أن الذين يقاتلون الكفرة هم شرذمة قليلة إنما هم كذابون مفترون. والذين يريدون أن يفصلوا أمة الإسلام عن أبنائها المجاهدين إنما يحاولون جاهدين أن يغيروا الحقائق ويزيفوها ولن يستطيعوا. والذين يدَّعون أن الذين خرجوا لساحات الجهاد هم حالات خاصة بسبب مشاكل اجتماعية ومادية أو لأمراض نفسية، عليهم أن يبرهنوا أن أمة الإسلام جميعها مصابة بذلك!! فإن الجهاد فريضة من فرائض الإسلام.

إن الجهاد ذروة سنام الإسلام .. وجزءٌ لا يتجزأ من هذا الدين العظيم، فكل من قال لا إله إلا الله مصدقاً بها فإنه يؤمن بالجهاد. فالله يقول (كُتب عليكم القتال) وها

هو الرســـول صلى الله عليه وســـلم يقول (بُعثت بين يدي الســـاعة بالســـيف) فلن يستطيعوا أبداً أن يفصلوا السيف عن دين الله، ولا المجاهدين عن أمتهم .

أم من أمة .. تساند طليعة الأمة ..

إنها امرأة .. ولكنها مسلمة، سمعت أوامر الله فطبقتها ..

إن هذه الرســالة شــاهد من الشــواهد على أن الأمة تســاند طليعتها التي تدافع عنها.

جهاد أم ..

إنها أم الشهيد -كما نحسبه- أبي مصعب المكي-رحمه الله- ولد في مكة مهبط الوحـي على رســول الله صلــى الله عليه وســلم، ورأى بأم عينه مواطــن العز التي فتحــت فيهــا مكة، وطاف حول الكعبة التي هي رمز من رمــوز ديننا ليتجلى أمامه موقــف النبي صلى الله عليه وســلم وهو يرتــل (جاء الحق وزهــق الباطل) محطماً الأصنام التي كانت حول الكعبة، ليتشرب حقيقة الإسلام، وليعرف كيف قام الدين، وأنه لا يُصلحُ حالنا إلا ما أصلح أولنا ..

نشــأ في بيت مَنّ الله على أهله بالجهاد، ورأى بأم عينه محاربة طواغيت آل ســعود لدين الله وفتحهم أراضيهم للصليبيين ليهاجموا منها المسلمين في العراق.

ثم رأى مجاهدي الجزيرة وكيف أنهم اختاروا المنية على الدنية في سبيل إعلاء كلمة الله، فاختار طريقهم ونفر إلى أرض الجهاد .

قُتل رحمه الله في أفغانســتان، وعمره ثمانية عشر سنة ليثبت الحقيقة مرة أخرى وهي أن الأمة تجاهد بكل شرائحها.

أمــا أمّــه فأنعم بها مــن أم! ولنترك الحديث عنها لابنها الشــهيد في رســالته إلى «الطلائع» فهو خير من يتكلم عنها.

نص الرسالة :-

الحمد لله والصلاة والسلام على إمام المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين عليه الصلاة والسلام إلى يوم الدين .. أما بعد

فأقل ما يكتب في أمي جزاها الله خير الجزاء وثبتنا وإياها على هذا الطريق هو هذا المقال الذي سأذكر فيه بعض المواقف المؤثرة التي كانت تعيننا فيها أنا وإخوتي حفظهم الله جميعاً.

فمن المواقف كانت تقول لنا لا تخرجوا للجهاد إلا بعلمي وتسلموا عليَّ! فكنت أقول لها: لماذا؟ فكانت تقول لي: لأني أريد أن أحتسبكم عند الله. وأني أخرجت ولداً في سبيله. وكانت تقول: إذا احتجتم إلى المال فتدينوا ثم اكتبوا وصية وأنا أسدد عنكم.

ومن المواقف المشهودة لها أنه عند خروج أخي الأكبر -تقبله الله في الشهداء- سلم عليها وقال إنه يريد أن يمشي للجهاد فما ترددت! وما قالت له إلا: «اثبت ولا تولي الدبر. واصبر وملتقانا الجنة إن شاء الله» .

ومن المواقف التي تقشعر منها الأبدان أنه عندما اتصل بها بعد خروجه وقال لها إنه يريد أن ينفذ عملية استشهادية فما قالت له لا تنفذ أو قاتل أفضل، بل قالت له مباشرة: «استعن بالله! ولكن إذا نفذت اترك الإخوة يتصلون بي ويبشرونني».

وعندما نفذ أخي العملية الاستشهادية -تقبله الله في الشهداء- اتصلوا بها وبشروها فكبَّرت وسجدت سجود شكر لله عز وجل، وكانت تقول لي: شمِّر والحق بأخيك! وكانت تقول: بإذن الله يكون لنا شفيعاً يوم القيامة!

ومن المواقف الأخرى أنها كانت تقول لي: «اصدق الله وادع كثيراً لكي يغفر لك! وكانت تقول لي القعود للنساء والمستضعفين فلا تقعد مع القواعد».

وكانت تبحث لي عن طريق بشتى الوسائل ووجدت كثيراً ولكن لم ييسر لي الله هذه الطرق! إلى أن منَّ الله عليَّ ووجدت طريقاً فلم أخبرها إلا وأنا خارج من البيت وقلت لها: أريد أن أمشي للجهاد، ففرحت وسلمت عليَّ وكررت لي النصيحة: «اثبت واصبر ولا تولي الدبر، وملتقانا الجنة بإذن الله» .

ومنَّ الله عليَّ وأوصلني إلى أرض الجهاد واتصلت بها أول اتصال بعد ستة أشهر

-لبعض الظروف- فقالت لي: «لا ترجع واصبر واثبت!» فكانت والله من الأشياء المثبتة لي! ثم اتصلت عليها الاتصال الثاني فقالت لي: ما تريد تلحق بأخيك؟ -تعني بعملية استشهادية- فقلت لها: إن شاء الله! ولكن قدَّر الله وما شاء فعل.

فهذه بعض المواقف القليلة التي فعلتها أمي معنا جزاها الله عنا خير الجزاء ورفع الله ذكرها في الدنيا والآخرة. وأسكنها مع والدي الفردوس الأعلى مع النبيين والصديقين والشهداء. وأن يجعل الله ملتقانا في منازل الشهداء إنه على ذلك قدير وبالإجابة جدير. والحمد لله رب العالمين .

وكتبه ابنها: أبو مصعب المكي

وهنا انتهى حديث أبي مصعب عنها لأكمله أنا. فقد اتصلت بها مبشراً بشهادة ابنها فما كان منها إلا أن حمدت الله وشكرته وقالت لي: «إن ذلك من إكرام الله لها». ثم أقامت حفلاً في بيتها ولسان حالها يقول: من كان مهنئي فليأت وإلا فلا. وكم سيكون غيظ أعداء الله وهم يسمعونها ..

هذه هي أمتنا، أمة الإسلام ..

فالأم تجاهد .. ولكن كما راعى الإسلام أنوثتها فتح لها مجالات أخرى، فتجاهد بتحريض زوجها وصبرها على فراقه، وبتربية أبنائها وغرس كره الكفرة في قلوبهم، وكذلك بدعم المجاهدين بمالها حتى تنال فضل الجهاد (من جهز غازياً فقد غزا) كما في حديث رسولنا صلى الله عليه وسلم.

إنه جهاد كل المسلمين رجالهم ونساءهم، العالم بتبيينه فرضية الجهاد وفضله ووجوب الدفاع عن المسلمين وأراضيهم، والتاجر والمهندس والطبيب و.. و.. كل في مجاله وحسب استطاعته، بكل الشرائح، مستخدمين كل الكوادر في خدمة الإسلام، شعارهم: معاً نحو إعادة خلافة راشدة على منهاج النبوة .

هذه أمتي .. أمة الإسلام، أمة الجهاد، أمة الرحمة، خير أمة أخرجت للناس ..

وهؤلاء نساؤها ..

فليريني كل أمته ....

أبو عمر المقدسي (صليل السيوف-حنظلة)
وشهداء معركة عاشوراء

(أسيد المصري -عزام المكي- أبو المثنى الحجازي)

أبو قندهار الزرقاوي -تقبله الله-

أبو عمر المقدسي رحمه الله

مقدمة بقلم حسام عبد الرؤوف:

عرفته أندية الإنترنت والشبكة العنكبوتية فارساً مغواراً وأسداً كراراً ومدافعاً صنديداً عن المجاهدين، ومشيعاً لانتصاراتهم وبطولاتهم، ووافداً حديثاً على الساحة ولكنه ترك أثراً لا ينمحي بسهولة، وذكريات ستبقى لدى من عاشروه خلال تلك الفترة اليسيرة، بروحه الوثابة، وأحاسيسه الجياشة، وصبره على تبدل المعيشة، والجهاد في ظل ظروف أمنية وبيئية غاية في الصعوبة، رغم أنه لم يكن صغير السن وتخطى مرحلة الشباب منذ فترة طويلة!

وكان رحمه الله مصدر إلهام للشباب صغار السن في التضحية فداءً لهذا الدين، وكان ما يكتبه من أشعار ومقالات يبعث الأمل في القلوب، والبهجة في النفوس، وثبات الأقدام، خاصة أنه عايش الجاهلية بشتى صورها، وفي مجتمعاتها الأصلية، فعرف بواطنها، وخبر أسرارها وفضائحها، وثبت لديه زيفها وقرب نهايتها، وقد عصمه الله من الوقوع في براثنها والانزلاق في وحلها، مصداقاً لقوله تعالى: «ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ». فقد كان بشيراً بقرب زوال الغمة وانفراج الظلمة، واستعادة القمة التي فقدناها لقرون طويلة.

ونكتــب هنا رســالته الأخيرة التي خطها إليَّ قبل أن يلقــى الله عز وجل مقبلاً غير مدبر، حيث يقول:

(الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلق والمرسلين سيد الغر المحجلين نبينــا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد، فشــيخي الفاضل الحبيب! إنا ولله الحمد والمنة نصول ونجول وننال من أعداء هذه الأمة من الكافرين والمرتدين وهذه نعمة من الله عزَّوجل أن هيأ لنا أسباب القتال والجهاد، وأبشركم شيخنا أن معنوياتنا وصلت عنان السماء وأقصى ما يصيبنا هو القتل وهو إحدى أمانينا وتذكرتنا الجنة بإذن الله، والإخوان يتسابقون للخروج في العمليات نسأل الله أن يحفظهم، وإننا ماضون، وحرب الاستنزاف نتقنها كما يتقنها الطالبان كذلك، والوقت كلما طال في صالح المجاهدين! والحمد لله أولاً وآخراً، ونستودعكم الله، والسلام عليكم ورحمة الله).

ونترك المجال لصنو روحه ورفيق دربه أبي قندهار الزرقاوي ليحكي ذكرياته عن أبي عمر رحمه الله فيقول:

بينما كان أبو مصعب الزرقاوي يتكلم: «أمتي الغالية! حديثي إليك اليوم ذو شجون» كانت أشــجان حنظلة تزداد على وقع العبــارات... كيف أنصر هذا الدين؟ حتى وصل إلى المقطع الذي يقول فيه أبو مصعب رحمه الله: «فمن لم يســمعه صرير الأقلام، وصدى زئير الكلام، فسيسمعه صليل السيوف!»

فانتفضت معاني العزة في حنظلة... نعم صليل السيوف، بصليل السيوف ينتصر هذا الدين، صليل الســيوف هذا هو الاسم الجديد الذي اســتقر عليه أخيراً صاحبنا حنظلــة، فقد كان يتنقل بين أســماء تعريفيــة كثيرة، فمرة حنظلــة، ومرة «أعدوا العدة»، وأخرج وقتها سلســلة أمنية بعنوان: «كيف تتصرف إذا وقعت في الأســر؟» بالتعاون مع الأخ خطاب الثقفي رحمه الله، واســتمر يفيد إخوانه ويحرضهم فيما بعد باســم (صليل السيوف) الذي نظم فيه قصيدته المشــهورة والتي بلغت أرجاء الإنترنت: «ألا فكر وعد فكر .... أخي في الله متى تنفر؟»

ثم فتح الله عليه لما وصل أن أكملها بين جبال خراســان الشــماء، والتي عرف فيها بكنيته المعروفة: «أبو عمر المقدسي».

فهلمــوا أخوتي نبحر في ســير عطرة في ملاحم مفتخرة في القرن الخامس عشــر، خطها أحفاد خالد وأبي عبيدة بدم القلوب، لا بدمع المآقي.

في مدينة الزرقاء الأردنية، مدينة الأســود، المدينة التي خرجت المجاهدين والشــهداء وعلى رأسهم أمير الاستشهاديين أبو مصعب الزرقاوي رحمه الله، نشأ أخونا الحبيب «صليل الســيوف»، وكان قد حدثني عن شــيء من ذكرياته في الزرقاء ولقائه ببعض مشــايخ المنهج قديماً، قبل أن يســتقر به المقام في إحدى الدول الأوروبية، هناك بقي حب الجهاد في قلب صاحبنا، وكان متشدداً في الأمنيات، ومع ذلك لم تمنعه أمنياته من الصدع أمام الكفار بمدح المجاهدين.

ذات مــرة تعرف صاحبنا على برنامج البالتوك (Paltalk) للحوار الصوتي، ومنه تعرف على غرفة الأنصار -أنصار المجاهدين- والتي وجد فيها متنفســه في ديار الكفر، هذه الغرفــة التي تقدم خدمات إعلامية جليلة للمجاهدين، فهي بحق منبر إعلامي مميز جــزى الله الإخوة القائمين عليها خيراً، في الغرفة يخرج أحد الأنصار ويلقي قصيدة في مدح دولة العراق الإســلامية، وآخر يقــرأ بيانات وأخبار المجاهدين، وآخر يحلل، وبدأ من المحللين يظهر نجم «صليل الســيوف» ويرتقي درجات منبر الأنصار حتى نال قصباً بعيداً من السبق بسبب مشاركاته القيمة.

(ارفعوا رؤوسكم ولا تعطوا الدنية في دينكم!)

بهــذه العبــارة كان يطل علينــا «صليل» ليلهب المشــاعر ويحرض الشــباب ويرفع الإيمانيات، ويعلم الله أني لما كنت على أرض الواقع أركب في وسائل المواصلات -مثلاً- أو بين الناس وأتذكر عبارته، لا أتمالك نفســي حتى تفيض عيناي بالدمع شــوقاً للعز وشوقاً إليه وللإخوة في غرفتنا الحبيبة.

لكن هل كان «صليل» ليرضى بالتنظير باللســان، ويتــرك الجهاد بالنفس والجنان؟ لا يعقــل هذا من امرئ وفيه أقــل القليل من المروءة والنخــوة، فكيف بامرئ ملك حب الجهاد شغاف قلبه؟!

حب الجهاد سرى بكل جوانحي ... أرخصت في درب الجهاد دمائيا
إخواننــا قــد قتلوا قــد شــردوا ... أأغض طرفي عنهم متناسيا؟!

فـلا مقام لــه فـي ديار الكـفر إذا فتحـت الطـريق. وهـذا مـا يسـره الله لـه لاحقـاً حيث فتحـت لـه الطـريق وسـط ركـام البـاطل. فلـم يفـرط «صليل» بهـذه النعمـة العظيمـة كمـا فـرط فيهـا الكـثيرون غيـره ممـن جاءهـم الطـريق علـى طبـق مـن ذهـب فأشـاحوا عنـه بوجـوهـهم. وقلبـوا لـه ظهـر المجن. وتعـذروا بأعـذار واهيـة!

ومن طرائفه في هذا السـياق رحمه الله أن المنسـق قال له بحكـم إقامته في أوروبا: «ابـق خلايا نائمـة»... فمـاذا كان رد «صليل»: يا أخـي طوال حياتـي وأن نائم. دعنـي أستيقظ!

أظن أن حصر الكلمات والمواقف عن شـهيد مهمة لا تستطيعها الأقلام وتستحي أن تحملها الأوراق. لكن من باب شحذ الهمم والعزائم. وتحديث الأمة بمواقف أبطالها نكتب. وإلا فمواقف أبي عمر والإخوة الشهداء أكثر وأكبر. ولربما يقول مرة لك الشهيد كلمة مؤثرة لكنه باستشهاده يؤثر فيك أكثر. وهكذا كان أبو عمر رحمه الله.

على خط النار:

إنها الحرب الضروس. والمعارك العنيفة. لقد بدأت الحرب وكشرت عن أنيابها. وعندها رأيت كيف أن هـذا الدين يحول أبناءه إلى رجال عظماء حقيقيين يجعلون صدورهم دون أمتهم:

فدت نفسي وما ملكت يميني ... فوارس لم تخب فيهم ظنون

فـوارس لا يهـابـون المـنايا ... وإن دارت رحـى الحـرب الزَّبـون

وعلـى الطريـق رأيت أبا عمر سـعيداً وعالـي الهمة كعادته. فطلب مني أن أنشـد لتحريض الإخوة فاسـتحييت. وأصر أبو عمر. وبدأت لاحقاً الأناشيد الجماعية برفقة خيـرة الأحبة. وكان موقع أبي عمر على سـلاح «الدشـكا» المضـاد للطائرات ومعه سـلاح البيـكا. ولقد أظهر أبو عمر شـجاعة مميزة حين أتت طائرة جاسوسـية ذات مرة وانخفضت. فما كان من أبي عمر إلا أن أخذ البيكا واسـتلقى على ظهره يرمي عليها! وأحد الإخوة بجواره يشـجعه إذ كانـت الطلقات قريبة وكاد أن يصيبها لولا قدر الله!.

معركة عاشوراء:

جاءت الأوامر باقتحام بيت كان المرتدون قد تحصنوا به واتخذوه مركزاً متقدماً لهم. فارتأى أميرنا ضرورة اقتحامه وقتل أعداء الله في حصونهم وشعارنا: « فاضربوا فوق الأعناق». لقد كان أبو عمر متحمساً بشدة للاقتحام ومحرِّضاً عليه، فقد قال للأمير: «إن في كل أخ أسدًا بداخله إذا وضعته في القتال ظهر» أو كلاماً نحوه. وكان قد أخذ كيساً من الخيش معه ليضع فيه رؤوس المرتدين.

يوم العملية كان يوم عاشوراء لذا كان أبو عمر مع ثلة من الإخوة صياماً، ثم أتت الأوامر بإفطار الصائم ليتقوى على المعركة، وكان قوتنا الشاي والخبز والبطاطس ثم منَّ الله علينا بالأرز.

صُفّت جحافل التوحيد، وتأهبت الحور يرتقبن الشهداء، والله أعلم بمن يقتل في سبيله، وهناك صدح أبو عمر محرضا لإخوانه بقوله: «يا إخوة اليوم موسم تفتح فيه أبواب الجنة» وحرَّضهم على الجهاد والبذل، وكبّر الإخوة ثم تعانقوا للوداع، فلا ندري أينا يقتل وأينا يستبقيه الله. والغريب أن أبا عمر لمّا عانقني بكى وشد عليَّ مما ذكرني بأول لقاء لي معه، واستغربت حينها وكنت لا أدري هل أحس بدنو أجله أم ماذا؟

بعد أن أخذنا توجيهات الأمراء تحركنا إلى مكان العملية سيراً على الأقدام بضع ساعات، وكانت الخطة المرسومة كالتالي:

- مجموعة زوكياك ترمي بكثافة نارية شديدة تصحبها رماية الدشكا من طرف آخر.
- مجموعة اقتحام «رأس حربة» والتي كان فيها أبو عمر، مهمتها اقتحام مركز العدو تحت تغطية نار الزوكياك والدشكا.
- مجموعة إسناد للمقتحمين تقوم بإسناد الإخوة والإجهاز على العدو وإخلاء الجرحى.
- مجموعتا مدفعية «مدفع ٨٢ + مدفع هاون» لدك معاقل المرتدين.
- مجموعة كمين ومشاغلة ترمي على المراكز التي تحرس المركز الرئيس.

وصلنا إلى مكان العملية ليلاً وجلسنا تحت القمر نتربص وننتظر ساعة الصفر.

ونحـــن قريبون جداً مـــن مركـز العـدو لدرجة أنه أمكـننا سـماع أصواتهم. وهنا حدث موقف طريف يذكرني بقول الله سبحانه وتعالى عن غزوة بدر: «إذ يغشيكم النعاس أمَنَةً منه». وبكرامات المجاهدين التي كان يحكيها الشيخ عبد الله عزام رحمه الله، وقص شيئاً منها في كتابه «آيات الرحمن في جهاد الأفغان». وذلك أننا لما وصلنا إلى موقع العدو بسلامة الله بدا أن أحد الإخوة الفضلاء أخذه التعب فنام حتى سمعنا غطيطه ونحن على بعد عشرين أو ثلاثين متراً من العدو!

جلست أستمع بالمخابرة صوت أميرنا وهو يهمس ويضع اللمسات الأخيرة قبل الاقتحام. فوالله يا إخوة لقد كانت لحظات عجيبة وأنا أستمع وأنتظر إشارة البدء. لا أدري ماذا أقول؟ لقد تناقصت الثواني وتنتابني مشاعر عجيبة لدرجة أن ضربات قلبي أسمعها بأذني. سبحان الله!، لقد كانت لحظات خوف ورجاء وترقب. كنت أفكر كثيراً لا سيما هل سأقتل؟ وهل إذا قتلت سيقبل الله شهادتي؟ هذا أكثر سؤال مخيف. فخبت وخسرت إن قتلت ولم يقبل الله شهادتي!! وفيما كانت هذه المشاعر تختلج في صدري. والألسنة تلهج إلى الله بالدعاء. سمعت الأمير يقول: «بسم الله! ارم! الله أكبر». فبدأت زغردات الزوكياك. لقد أحسست بأن قلبي طار من مكانه فرحاً فصار يرقص على نغم رصاص الزوكياك. وأحل الله في قلبي سكينة وثباتاً. فقد تبددت تحزينات الشيطان وبطل نَوْؤه. اختلفت مشاعري تماماً حتى لكأني طرت بروحي إلى السماء من خفة الروح وانشراح الصدر. وصدق شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عندما نقل عن بعض الشيوخ قوله: «لقد كنت في حال أقول فيها إن كان أهل الجنة في الجنة في مثل هذا الحال إنهم لفي عيش طيب. وقال آخر: إنه ليمر على القلب أوقات يرقص منها طربا».

لقد أحسست بنشوة البذل والعطاء في سبيل الله. إنه فرح سيغمر قلبك يا أخي المسلم عند أول طلقة تطلقها من سلاحك في سبيل الله.

وحسب المخطط تسلل أُسد الله تحت أزيز الرصاص يملأ صدورهم الإيمان. والتحم الصفان بعد أن استفاق أعداء الله من سكرتهم وبدؤوا بالرد بما يملكون من أسلحة الشر. ونتيجة لكثافة النيران سقط عدد من الإخوة جرحى. ومع ذلك فقد استبسل

أحد الإخوة حتى وصل ســور مركزهــم ورمى بيده داخله قذيفة هاون مُشــرّكة، ثم أصيب وسقط مغشياً عليه، ونقله الإخوة لاحقا.

ولقــد كان الثبات تحت ذلــك الوابل من النيران في تلك اللحظات العصيبة بحد ذاته نعمــة عظيمــة من الله، وحقاً إنك لا تفهم ولا تفقــه حديث النبي صلى الله عليه وســلم حينما ســئل: «ما بال الشهيد لا يفتن في قبره؟ فقال: كفى ببارقة السيوف على رأســه فتنة» إلا في مثل هذه المواقف، فهو مع كل هذا الضرب والطحن يثبت حتى يقضي نحبه شــهيداً! وإنك لتستشــعر معية الله للمجاهدين حينما تأتيك الرصاصات من كل جانب وكذلك القنابل وقذائف الـ RBG وتستشعر أنك بين خيرين وتالله إن هذا لهو الفوز العظيم.

وفيما نحن نسير قال أحد الإخوة: «رحمك الله يا أبا عمرا»، نزل كلامه عليَّ كالصاعقة! قلــت له: كيف؟ فقال: «إن أبا عمر قضى نحبه في المعركة»، فقلت له: متأكد؟ قال: نعم لقد رأيته، قالها وكأنه يغبطه، ولم أتمالك نفسي من البكاء.

عيني جودي بدمعك الرَّقراق ** واسكبيه على أعــزِّ الرِّفــاق

أي فقدٍ قد أثــار شــجــونــي ** وأشاع الأحزان فــي أعمــاقي

لا تلمني على البكــاء فــإنِّي ** قد وجدت البكاء حلو المذاق

ومــع ذلك بقيت بين الرجاء والأمل، فلعله أصيــب وفقد الوعي وربما لم يتأكد الإخوة جيداً! ولكن «إنَّا كل شَــيْءٍ خلقناه بقدر»، إيه أبا عمر! لم أصدق نفســي لقد كانت لحظــات صعبــة بكل ما تحمله الكلمــة من معنى، ومن ثمَّ جاءنــي الخبر من أخ آخر، وسرنا ونحن نردد «ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين»، نعم لقد كان المصاب كبيراً لكن لابد من ثمن لإقامة شرع الله في الأرض.

بعــد أن رجعنا إلى مركزنا كم كنت أتمنى أن أصــل لأرتاح بلقيا الأحبة وكان أبو عمر ووجهه لا يزال مرتسماً في مخيلتي.

حقاً رحلت عن الديار مفارقا ** وغدوت طيراً في سما الجنات

وما إن وصلت حتى أجهشــت بالبكاء فواساني أحد الأحباب من أحفاد فاتح القيروان: «علام تبكي؟ فنحن نحســبه شــهيداً»، وكان أجمل منها مواســاة أحد الأحبة من

أهل البيت حيث قال لي: «لماذا تحزن يا أخي؟! شخص يقول لك: «أحرار وغايتنا عناق الموت إن زمجر» -وهو من كلام أبي عمر-. شخص يذهب للموت أنت تمنعه؟» فوقع هذا القول في نفسي الموقع الأطيب. ثم مازحني أحد الإخوة الأتراك بقوله: «الآن أبو عمر مع الحور». وكذا يسرّي عنك لقيا الأحبة والصبر وحسن الظن بالله وبموعوده للشهداء مشهد الارتقاء.

أما عن مقتل أبي عمر فيحدثنا أحد الإخوة الذين كانوا معه، وكان قد أصيب بوجهه ومع ذلك حمل معنا الأخ أبا المثنى قال: «لمّا أصيب أبو عمر وسقط سحبناه وأسندته إلى صدري أذكره الشهادتين، فصار يرددها بلسانه وصوته يسكن شيئاً فشيئاً حتى أسلم الروح لبارئها، وارتسمت على وجهه ابتسامة عجيبة تنبي عن راحة صاحبها»

ولقد رأيت هذا الأخ تأثر كثيراً باستشهاد أبي عمر. إيه يا أبا عمر! لا أدري أأبكيك؟ أم أرثيك؟ أم أبكي على نفسي وعلى الغثاء من أمتنا الذي فاته المشاركة بهذه الملاحم العظام؟! وليهنك الحديث الذي رواه أبو داود «من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة» فأي فوز أعظم من هذا؟! وللعلم فإن أبا عمر كان من أوائل المقتحمين وسقط بعد أقل من دقيقة من بداية المعركة، كما يخبر أحد الإخوة مما يعني أنه كان أول شهيد -نحسبه والله حسيبه-.

اليوم زف إلى الحوراء عاشقها ** وبات في خدرها المأنوس ريّانا
وغنت الحور لحن الحب مطربة ** اهنأ بعيشك محبورا وجذلانا
فعاد يهتز في عطفيه مؤتلقا ** يميد بين بنات الحسن نشوانا
هذا الذي كان يرجوه ويرقبه ** فناله وحباه اللـه رضوانا

من مقولات أبي عمر رحمه الله:

-أقصى ما يمكن أن تقوم به أمريكا هو أن ترسلك إلى الجنة.

-كل الدنيا تعرفكم، كل العالم يعرف من هي القاعدة، إذا ذهبت إلى أدغال الأمازون فسيعرفون القاعدة.

-ومقولته الشهيرة: ارفعوا رؤوسكم ولا تعطوا الدنية في دينكم.

وهنا نذكر بعض الإخوة الذين استشهدوا في نفس المعركة:

- أبو أسيد المصري:

مـن مصر الكنانة، مصر الفاتحـين، مصر عمرو بن العاص -رضـي الله عنه-، انطلق بطلنا أبو أسيد ليعانق المجد، فطلق حياة الذل التي حيزت له، لأنه يمثل قدوة للممثلين والفنانـين التائبين. فقـد كان درج في طريق الفـن والتمثيل، ومثّل فـي أحد الأفلام المصرية المشهورة حتى تاب الله عليه، وأبصر النور، وعرف طريق الجهاد، فمضى يحث السـعي قدمـاً. ولقد رأيته حتى آخـر لحظات ما قبل المعركة التـي قتل فيها، وكان يكثر من الدعاء رحمه الله برفع يديه إلى السماء. يا ترى بم كان يدعو أبو أسيد؟ لقد كان مؤدباً ومحباً لإخوانه بشـخصيته المميزة، وحريصاً على المشاركة في مجموعة الاقتحام والمشـاركة بالعملية. وكان ماهراً بالقنص، ومع ذلك ترك قناصته وأخذ الـ RBG ليكـون من أوائل المقتحمين. وكانت هذه هي المعركة الأخيرة التي ارتقى فيها سلم الخلود -كما نحسبه والله حسيبه-.

وعن مشهد الشـهادة يقول رفيقه في الاقتحام أبو سعد الزرقاوي حفظه الله: «لما اقتحمنـا فـي أول اللحظات جاءني أبو أسـيد وقد أصيب في عينـه، وقال باللهجة المصرية «بص عيني موجودة ولّا لأ؟» يا الله من فرط شجاعته لم يأبه كثيراً بالإصابة، بل ببسـاطة يريد أن يعـرف هل هي موجودة أو لا؟ والظاهر أنـه فقدها، فقال له أبو سـعد: «لا بأس عليك إصابتك بسيطة إن شـاء الله، ارجع للإخوة ليعالجوك»، فماذا كان رده تصوروا هذا الذي ذهبت عينه؟! يقول: « لا لا مش عايز أرجع! مش عايز أسيب إخواني، عايز أقتحم معهم» لله درك يا أبا أسيد ..... فـــ

نفس عصام سوَّدت عصاما .. وعلمته الكرَّ والإقداما

فقلـت له: «إذن بسـم الله»، وكبرنـا وانطلقنا باتجاه العدو، وأتت أبا أسـيد رصاصة اسـتقرت في رأسـه سقط على فورها شـهيداً -كما نحسـبه والله حسيبه-، ولمّا أخذنـا جعبته ورأيتها لاحقاً فـي وضح النهار كانت مليئة بالدماء مع أنها سـوداء اللون! فلله در شـباب يروون شـجرة عز الإسـلام بدمائهم، ورحمـة الله عليك يا أبا

أسيد.

ولما أصيب أبو أسـيد في ذلك الوقت هتفت به: «أبا أسيد حبيبي!» وأنا أبكي! حينها قال لي أخ: «لقد استشهد». لقد كانت أول مرة في حياتي أرى مجاهداً فاضت روحه مسـريلاً بدمائه. نعم لما رأيته وقع في نفسـي أنه قضى لكن لم أرد التصديق حتى فحصت نبضه. وكان قد فارق الحياة إلى جنان الخلد إن شاء الله.

- عزام اللبناني المكي!:

ما ضره لو أنه كبني البشر .. عاش الحياة رغيدة عشق القمر

عزام اللبناني، وما أدراك ما عزام؟ لله درك يا عزام! قل نظيرك في زمن أينعت فيه رؤوس الطغام! لعلك إذا سـمعت باسـمه للوهلة الأولى يخطر في بالك أنه شخص أبيض البشـرة من لبنان، وعلى النقيض من ذلك كان حبيبنا عزام. فنسـبته للبنان نسـبة مداعبـة لإخوانه حتى قال له مـرة أحد الإخوة اللبنانيين: «لو درت بكل لبنان لما وجدت مثلك»! فقد كان أسـود البشرة ظريف النفس خفيف الظل من الأرض المباركة مكة حرسها الله. خرج عزام ملبيا داعي الجهاد فعرفته ساحات أفغانستان وظهر في إصدار حتـى لا تتكرر محرقة غزة وهو يرمي بصواريخ BM وكان صاحب شـجاعة لدرجة أنه ليقف وحده بالأربيجي في مواجهة الطائرة المروحية القتالية «الهيلوكبتر».

إيه يا عزام! رحمك الله رحلت ولم ترحل ذكراك. وما ضر جلدك الأسود أن حوى قلبك الأبيض. ولإن أقسـمت أنّي ما رأيت صفات شهيد حيٍّ يدب على الأرض اجتمعت في أخ كمـا اجتمعـت في عزام لما كنت حانثاً إن شـاء الله. فقـد اجتمعت فيه خصال الشهداء الذين كنت أقرأ عن سيرهم! فمن بشاشة الوجه وحسن الخلق، إلى الحرص علـى الخير. وكان لا يُغضب أحداً ولا يغضـب منه أحد. ولقد أكبرته مرة عندما مررنا بمركز للطلبة وقلت في نفسي هذا هو المجاهد الحقيقي الذي أبحث عنه وكنت أقرأ عن سيرته. لقد أعطاني درساً في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وكان مثالا للمجاهد الداعيـة. وذلك أنه رأى خيطـاً من صوف بأيدي أحد الفتيـان الذين يقومون بالخدمة وصب الشاي، فكان أن ناداه عزام وأجلسه بحذائه وقال له مبتسماً بالبشتو: «وَلِي؟»

يعنـــي لماذا؟. والفتى ينظر إليه وعزام يبين له الحكم ويأمره وينهاه. والأنصار وأميرهم ينظــرون إليه. ثم نزع الحلقة برفق وأدب. مما أكســـبه احتراماً زائــداً بينهم. وأكثر من هذا أنه أدخل الســـرور عليهم بالنشيد. فأنت إن سمعت باسم «عزام اللبناني» في أوساط شـــباب القاعدة قرنت اسمه بنشـــيد «النظافة يا جماعة» فكان أن أنشده للأنصار بلهجته المكاوية وهم يرددون ونحن نضحك من كلماتها.

وفي يوم رأيته رحمه الله وقد احترق شـــيء من شـــعره ورأسه فسألته: ما هذا؟! فرد عليَّ بالمكاوي: «هذي بوســـة حورية» ! والسبب أنه كان قد يحمل مدفع ٨٢ لمواجهة هيلوكبتـــر وخرجت منه قذيفة بالخطأ فأصيب إصابة طفيفة وســـببت تلك الحروق.

وفي المعركة التي استشهد فيها رحمه الله وأثناء الاقتحام ظهرت بسالته الباهرة وهـــو يذب عن إخوانـــه. فقد كان في مجموعـــة الكمين والمشـــاغلة وفيما كان يعد شريط البيكا جاءه أحد الإخوة كأنه يستعجله وقد بدأت العملية فما كان من عزام إلا أن تبســـم له وقـــال: «الآن أوريك فيهم!» وهذا يذكرنا بموقـــف ثابت بن قيس رضي الله عنه حين تكفن وتحنط في حروب الردة فجاءه أحدهم يستعجله فرد عليه ثابت: «الآن يـــا ابن أخـــي». وحمل عزام بالبيكا على العدو ليؤمّن انســـحاب إخوانه وانغمس فيهم ليصليهم من حرها. ومضى ولم يرجع ولم يلتفت. فعســـى أن يتلبط بالغرف العلى من الجنة ويضحك إليه ربنا. وإذا ضحك ربنا إلى أحد فلا حساب عليه.

فتى مات بين الضرب والطعن ميتة ** تقوم مقام النصر إذ فاته النصر

فرحم الله عزاماً وأخلف أهله بعده بخير آمين.

- أبو المثنى الحجازي:

هو أكثر من تأثرت باستشهاده من الإخوة. لشدة ما أصابه! ونرجو أن يكون هذا رفعة لـــه في الدرجات وتكفيراً للســـيئات. وأبو المثنى أحد أبطـــال جزيرة محمد صلى الله عليه وسلم. واسمه الأصلي «عتيق». وهو من المطلوبين في قائمة الشرف الـ (٨٥).

وقبل استشـــهاده بليلة عند وصوله وجلوســـه مع الإخوة دخلت عليهم فهش في وجهي وبش وأخجلني بلين ولطف عباراته.

وكان أن تحدثنا عن شبكتنا الحبيبة «شبكة الإخلاص الإسلامية» فسارني بأن الداخلية السعودية كذبت حين زعمت أنه تم القبض على صاحب معرف «ضيف في دار حاتم» لأنه حر طليق. فعرفت أنه ذلك الصاحب. ولم يدر بخلدي أنه مودعنا بعد ليلة!

والعجيب أنه بعد استشهاده سمعت من الإخوة أنه كان يقول: «أحس أني لن أرجع من هذه العملية» وهكذا كان رحمه الله. ففرَّق أغراضه، وترك وصيته في جعبته والتي حث فيها على الوحدة وأن يسامحه الإخوة إن أخطأ في حق أحدهم! صدقوني يا إخوة هؤلاء شباب محمد صلى الله عليه وسلم، يعلموننا أبلغ الدروس في التقديم لهذا الدين! فمثل أبي المثنى كنت تراه سمحاً بشوشاً ومع ذلك يطلب السماح.

بعد العملية انحزنا إلى مكان آمن في أحد الوديان وكان معنا بعض المصابين أحسست بأن أحدهم -وهو أبو المثنى- لا يتنفس فأنزلناه لإسعافه وهنا أذكر فائدة مهمة لإخواني في مبادئ الإسعاف الأولي بأنه إذا وصلهم أي مصاب ليكن أول ما تنظر إليه مجرى التنفس فقد يكون مسدوداً بعائق أو باللسان وهذا كثير. وفعلاً فقد بلع الأخ لسانه فطلبت من أحد الإخوة جزاهم الله خيراً أن يساعدني في فتح فمه، لأن الفك يكون متصلباً بسبب تشنج العضلات، وأدخلت أصبعين خلف لسانه ثم سحبته، وفُتح مجرى التنفس والحمد لله.

حملنا أبا المثنى لساعات إلا أنه فقد وعيه لأيام وكانت حالته صعبة، ومن لطف الله به أنه وصل إلى المستشفى وقد فارقت روحه الجسد المتعب بعد أن نقل بسيارة حسب الإمكانات في طريق وعر. فرحمك الله يا «غازي» -كما كان يُعرف بين إخوانه- فلقد عانى الكثير والحمد لله أن اختار الله له الأفضل إن شاء الله.

ختاماً: إخوتي هكذا نسوق هذه البصائر والعبر ليس لدغدغة المشاعر وسكب العبرات وحسب، بل لنمضي على طريق الحق، أن نوقن أنه يلزمه الصدق، وأن الصدق يلزمه بذل الروح لصياغة تاريخ أمتنا الذي يكتب بمداد المنتصرين ويبنى مجدها على جماجم أبنائها الصادقين.

والحمد لله رب العالمين.

أبو قندهار الزرقاوي
كما عرفته

أبو ذر الزرقاوي

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد. ما زلت أذكر أول مرة تعرفت عليه فيها. لقد كان عبر الشبكة العنكبوتية. تواصلنا وزادت العلاقة بيننا وتوطدت خاصة بعد أن عرف أنني من مدينة الزرقاء. لكنني لم أكن أعرفه من قبل. وبعد مدة أخبرني عن نيته للنفير. وأنه يرغب أن أصاحبه في الطريق. فوافقت وفرحت بذلك. وبدأت أرتب أموري وأتجهز. وبعد أن حان الوقت نفرت والتقيت به في إحدى الدول وكانت أول مرة ألتقي فيها بالأخ أبي قندهار. كان مرحاً وحسن الخلق ذو دعابة. طالباً للعلم محباً لأهله. عارفاً بالخلاف وأدبه. ذو ورع وتقوى -نحسبه والله حسيبه-.

كثيرون هم الذين يعرفونه من خلف شاشات الكمبيوتر لكنهم لم يلتقوا به. وكان له نشاط ملحوظ في الدعوة والتحريض عبر الانترنت.

تربى وترعرع في مدينة الزرقاء الأبية. في ظل أسرة علية. فأبوه طبيب متخرج من إحدى الدول الأوروبية. وأمه معلمة للغة العربية. وربما كان هذا هو السبب وراء حبه للقراءة. فقد كانت عنده همة عجيبة في القراءة. كان يحب أمه كثيراً. أذكر عندما اتصل بها ونحن في الطريق كيف كان يصبّرها ويذكّرها بتقوى الله والثبات واحتساب الأجر عند الله.

أرسله أهله لتعلم الطب في أوكرانيا وهناك بدأ بالدعوة ونشر العقيدة السلفية والدعوة للجهاد. كان ملتزماً بالسُّنة معظماً لها. وقد وجد ثمرة ما صنع. فقد انتشرت العقيدة السلفية بين الطلبة هناك. وازداد عدد الطلبة الملتزمين بالعقيدة. وكان يخطب الجمعة بهم أحياناً. ما دفع المخابرات الأوكرانية للتحقيق معه واستجوابه.

لم يرضَ أبو قندهار أن يظل ينظر لإخوانه وهم يقتّلون في فلسطين وأفغانستان والعراق والشيشان. فكان دائم التفكر بهم حريصاً على دعمهم ومساعدتهم.

فساهم رحمه الله في التنسيق لعدد من الإخوة في النفير إلى أفغانستان وإلى تنظيم القاعدة في المغرب الإسلامي. وقام بقطع دراسته التي بقي لها سنة ويتخرج منها طبيباً، فما عند الله خير وأبقى، وشهادة الرضوان أعلى من شهادة الدكتوراه وكل الشهادات الدنيوية.

كان رحمه الله مريضاً ويعاني من ضيق في التنفس، لكن مرضه لم يمنعه من ممارسة الجهاد رغم ما كان يعانيه خاصة أننا نخوض حرب عصابات في جبال أفغانستان الوعرة وهذا يتطلب لياقة وصحة بدنية عالية. كان محباً للخير كثير النصح لإخوانه، ويداوم على تذكيرهم بحسن الظن بالله. أذكر عندما كنا في طريق الهجرة في إحدى الدول المجاورة لأفغانستان بدأت الأجهزة الأمنية بمطاردتنا! وبعد وقت من المطاردة اختفينا في أحد الأماكن، وبدأ الإخوة بالدعاء. وبعد أن فرّج الله همنا ونجانا من القوم الظالمين أخبرني أنه كان يعرف أننا سننجو، فقلت له:كيف عرفت ذلك؟ فقال: أتظن أن الله يضيعنا؟! يجب أن نحسن الظن بالله.

عندما وصلنا إلى خراسان تلقينا التدريبات في نفس المعسكر وبعد إنهاء التدريب تم توزيعنا على المجموعات المقاتلة، فشارك إخوانه المجاهدين في ولاية «زابل» وخاضوا بعض العمليات هناك ضد الصليبيين والمرتدين. وقد التقيت معه بعدها في عيد الفطر وكان فرحاً مسروراً بالمشاركة مع إخوانه هناك، وأخبرني حينها أنه طلب من الأمراء أن يرافق أحد المشايخ في اللجنة الشرعية حرصاً منه على طلب العلم والاستفادة منه فوُعد بذلك.وقد ألف رسالة له في أرض الجهاد ونُشرت على الانترنت أسماها «السنا الوقاد في التحريض على الجهاد».

بقي أبو قندهار مرابطاً مع إخوانه على أرض خراسان فرحاً بمقاتلة أعداء الله إلى أن تعرض موقعهم لقصف جوي فسقط شهيداً هو واثنين من إخوانه -نحسبهم والله حسيبهم-، فلله درك يا أبا قندهار! لم تلهه الدنيا وزخرفها فكان أمامه مستقبلاً يحلم به كل واحد من الشباب. كان بإمكانه أن يكمل دراسته ويصبح طبيباً كبيراً، وتكون له زوجة وأولاد، وينعم بأرغد عيش. لكن أنّى للشباب المؤمن أن ينعم بالعيش وإخوانه يتسربلون اللهب ويكتوون بلظى القنابل والصواريخ؟!

رحمة الله عليك يا أبا قندهار! وأسأل الله أن يجمعنا في مستقر رحمته.إنه ولي ذلك والقادر عليه، والحمد لله رب العالمين.

الــطــائـفــيــان

أبو ضمضم القرشي وأبو العباس الثقفي

أبو الحسن الوائلي

الحمد لله المتفضل علينا بالآلاء، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء، وعلى صحبه الأوفياء، وآله الأتقياء، وبعد:

كتبت في العدد السادس عشر من المجلة عن شهيدنا البتار الطائفي «مَعن القُرشي» -تقبله الله- وما كنت أحسب أني سأكتب في هذا العدد عن أخيه عبد الله (أبو ضمضم) وصاحبه فايز (أبو العباس) -تقبلهما الله-، فما أقساك أيها الفراق، فإن من العيونِ لما تتفجرُ منها أنهارُ الدموع، وإنَّ من القلوب لما تتشقق وتتقطع ألماً على رحيل الأحبة، ولقد رحل أبو ضمضم ورحل أبو العباس في ليلة واحدة، فإنا لله وإنا إليه راجعون، وإنَّ القلب ليحزن، وإنَّ العين لتدمع، وإنّا على فراقكما يا أبا ضمضم ويا أبا العباس لمحزونون، وعظم الله أجر المجاهدين والمسلمين في فقدكما.

جناتُ عدنٍ في ظلال سيوفهم ** يرضونها نزلاً لهم ومقاما
يتسابقون إلى منازلها العلى ** يتفيأون الخيرَ والإنعاما
تتأجج النيرانُ خلف صفوفهم ** ويرون جناتِ النعيم أماما
لا يملكون إذا الكُماة تدافعت ** في غمرةٍ خوراً ولا استسلاما
يرجون رضوان الإله لأنفسٍ ** يحملن أعباء الجهاد جساما
رفعوا بحد السيف دين هدايةٍ ** لولا جليل صنيعهم ما قاما

أبو ضمضم القرشي

الكريم ابن الكريم:

فأما نسبه فإنه من قوم النبي -صلى الله عليه وسلم- من قريش، فهو عبد الله بن عمر القرشي، فهو حفيد العظماء والشهداء من أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم-، فهو الكريم ابن الكريم ابن الأكارم، فلا عجب إذن أن يسير سيرهم ويحذو حذوهم، يبيع الدنيا كما باعوها، ويهاجر من بيته وداره ووطنه كما هاجروا إلى المدينة من قبل، ينصب نحره فداء ووقاء لدين الإسلام، كما كانوا كذلك، لا عجب أن يخوض المعارك والمعامع فله فيهم أسوة حسنة، ثم تكون عاقبة هذا الاقتداء أن يقتل كما قتلوا ويطير في جوف طير خضر كما طاروا -نحسبه والله حسيبه-.

يا بْنَ الْخَلائِفِ والْجَحَاجِحة الْعُلَى ... وَالْأَكْرمين مَنَاسِباً وَأُصُولاَ
وَالأَعْظَمِينَ إِذَا العِظَامُ تنَافَسُوا ... بِالْمَكْرُمَاتِ وَحَصَّلُوا تَحْصِيلاَ
والْقائِدِينَ إِلَى الْعَزِيز بأَرْضِهِ ... حَتَّى يَذِلَّ عَسَاكِراً وَخُيُولاَ

هجرته وتربيته الصالحة:

هاجر أبو ضمضم إلى أفغانستان قبل خمس سنوات -تقريباً-، تاركاً بهذه الهجرة جميع ملذات الدنيا وزخرفها، فلقد كان من أسرة ميسورة الحال كريمة النسب، ثم تبعه أخوه البتار بعدما شوَّقه رحيل أخيه الأصغر إلى ساحات الجهاد، فعاشا في هذه الساحة يطيبونها بأخلاقهما ويزينونها بتضحياتهما وصبرهما، فكانا كالنحلتين وجودهما وأفعالهما كانت على قلوب إخوانهم المجاهدين كالعسل المذاب، فطوبى والله لأب وأم أخرجا هذين الشهيديْن الشجاعيْن الكريميْن الصابريْن، فلقد كان للتربية دور بارز في حياتهما، فكأنما أخرجت الدنيا من قلوبهما فوضعت نصب أعينهما الدار الآخرة، ومن هذا: قال لي أبو ضمضم في حياة أخيه البتار لما حكيت له عن صعوبة مفارقة الأخ في ساحة الجهاد، قال: أسعد خبر يأتيني هو استشهاد أخي!، وهذه الكلمات لا تخرج من شخص إلا وقد خالط قلبه اليقين وسكن فيه فعرف أن الدنيا فانية وأن الآخرة هي دار القرار والاستقرار.

كرمه وجوده:

أما إن سئلت عن كرم أبي ضمضم فإنه قد ضرب به أروع الأمثال وأعجبها. فإذا ذُكر الكرم والإنفاق في سبيل الله بين المجاهدين ذُكر أبو ضمضم. ولقد صدَّقت هذا عيني فرأيت مساعدته لإخوانه والتيسير عليهم بطيبة نفس وبحرص على أن لا يعلم عن هذا أحد من الناس. وأذكر مرة أنني سمعت من غير قصد كلاما له لأحد الإخوة كان يريد شراء «رجل صناعية» لأحد الإخوة المصابين -شفاه الله وعافاه- فكان يقول له أبو ضمضم: «تشتري أحسن نوع منها بأي سعر وبأي قيمة فأنا أتكفل بكل مصاريفها. وأنا أتكفل بمصاريف علاجه ونقله كاملة» وكان يلح على الأخ أيما إلحاح في أن يقبل طلبه هذا! فلما علم أبو ضمضم أنني سمعت هذا جاءني وأخبرني أنه لا يريد مني أن أذكر هذا لأي شخص. وأنا أذكره الآن بعد ما قتل وذهبت دواعي ما كان يخاف منه شهيدنا -رحمه الله-. هذا رغم أن أبا ضمضم قد تكفل بشئون هذا الأخ في أول أيام إصابته. فجاء به عنده ليخدمه في ما يحتاجه من علاج وطعام ومساعدة وغيرها!

ففي بلداننا عندما يصاب الإنسان قد يتكفل المستشفى وطاقمه من الأطباء والممرضين برعاية هذا المصاب وخدمته وعلاجه بأرقى الوسائل والأجهزة وأحدثها ولكن كل شيء بحسابه. ولكن الحال يختلف عند المجاهدين! وإن الصبر على خدمة مريض المجاهدين نظراً للنقص الرهيب في وسائل الخدمة والراحة يحتاج إلى أضعاف كثيرة من الصبر على خدمة أي مريض من غيرهم. فما بالكم برَجُلٍ قد بُتَرت رجلُه؟ حتى أن أكبر المستشفيات لتعاني كثيراً في توفير الخدمة له رغم ما عندهم من تكنولوجيا وعُمّال وخدم.

وأما المجاهدون فرغم قلة الوسائل عندهم وكذلك قلة الأطباء -بل وندرتهم- فإنهم ليسعدون ويبذلون ما يستطيعون في خدمة إخوانهم المصابين. وقد ضرب أبو ضمضم في هذا أروع الأمثلة. فجاء بهذا الأخ -شفاه الله- وغيره وقام بتوفير جميع ما يحتاجه. وفي مرة قال الطبيب إن الأخ ربما سيموت لأن حالته صعبة. وقد امتنع عن الأكل لأيام. فدخل أبو ضمضم عليه وجعل يمازحه ويضحكه وقدم له الطعام

بيده فأكل الأخ بدون شعور وكلنا ننظر بتعجب كيف جعله يأكل بدون أن يرده ولو لمرة!، فرحمك الله يا عبد الله فلكم كنت تحمل هم إدخال السرور على إخوانك!.

ومن ما شاهدته بنفسي عن إنفاق أبي ضمضم، فلقد كنت معه وهو يجهز مبالغا كبيرة في ظروف ويكتب عليها أسامي بعض الإخوة، وكان يقول لي هذه أمانات أنا أقوم بتوصيلها لهم!.

ما يبالونَ إذا مـا أفضلوا ** ما بَقي مِنْ مالِهِمْ أَوْ ما هَلكْ
عَقِلَتْ ألسُنُهمْ عَنْ قَوْلِ لا ** فهيَ لا تعرف إلا هو لكَ
زينوا الأرضَ كما قدْ زُيِّنَتْ ** بنجوم الليلِ آفاقُ الفلكْ

حبه لإخوانه المجاهدين:

ابتسامة أبي ضمضم والتي لا تفارقه لخير شاهد بصفاء قلبه ومحبته لإخوانه الذين يحاول كل جهده في خدمتهم ومساعدتهم في مشكلاتهم وحاجياتهم، فلقد قال لي: والله يا أبا الحسن إن أكثر ما يسعدني عندما يأتي لي أي أخ ويقول لي أريد منك خدمة! ومرة من المرات شكى له أحد الإخوة حاله وصعوبة ما يلاقيه فبكى أبو ضمضم وسط استغرابنا جميعاً!، فأي عين هذه التي سرعان ما تصب دموعها شفقة على إخوانها؟ لقد بكى حينما سمع حال الأخ وهو يعلم عن عجزه عن مساعدته في هذه الحال فبكى على أنه لا يستطيع أن يساعده!، فمن يعمل مثل عمل أبي ضمضم؟ وأي رقة في قلبه كانت؟... فكان همه الأكبر هو إدخال السرور على قلوب إخوانه ولو بذل في ذلك الغالي والنفيس، وكان يسأل الإخوة هل عندك كذا؟ فإذا قال له لا، انتهزها فرصة كيف يقدم له ذلك الشيء كهدية، إذن فلا عجب أن تصير مجموعته بعده كالأيتام كما أخبرني بعضهم!.

شجاعته وصبره:

أما عن شجاعته وحبه للقتال في سبيل الله، فحدّث ولا حرج!، فلقد خاض غمار الحروب في ولاية «فراه» وفي ولاية «هلمند» في جنوب أفغانستان، والأخيرة هي التي

ذُل فيها جنود بريطانيا حتى اضطروا للهروب منها وتسليم الموت والهلاك للجيش الأمريكي. وخاض غمار الحروب أيضاً في ولاية «نورستان» في شرق أفغانستان، والتي شاهد العالم كله هزيمة أمريكا فيها حتى أنهم خرجوا منها بالكامل. وكذلك خرج منها المرتدون وهم لا يريدون غير السلامة من الموت والدمار!.

وأخيراً شارك في المعارك الدائرة في ولاية «كُنَر» والتي لقي منها الأمريكان ما لاقوا في جارتها «نورستان». وكان من أواخر العمليات التي شارك فيها في هذه الولاية عملية على الأمريكان قتل فيها ما لا يقل عن ٤٥ أمريكياً كما أخبرني برسالة منه. وكان مسعراً للحروب إذا دخل منطقة فليبشر فيها الكفار والمرتدون بالموت. وفي هذا يقول أحد الإخوة إنه عندما كانوا في إحدى المناطق كانوا يعانون من قلة العمليات القتالية، فلما جاء أبو ضمضم تغير الوضع وصاروا يخرجون لدك المرتدين بشكل شبه يومي!

وأصيب عبد الله في هذه المسيرة القتالية بابتلاءات وإصابات عدة فتعود جسده على الشظايا والجروح إلا أنها لم تزده إلا صبراً وثباتاً وحباً للجهاد!. فلقد نجا من قصفين مختلفين للطائرات رغم أن صواريخها نزلت على نفس المكان الذي كان به فتساقط عليهم الركام وصاروا تحته، وأصيب بطلقة في رجله في جنوب أفغانستان. وكذلك انفجر عليه إحدى المرات ما يقارب المائة صاعق إلا أنه نجا ولله الحمد بإصابات خفيفة.

التمر يُنقذ حياة أبي ضمضم!:

ذهب مرة للترصد ففوجئ هو ومن معه أن العدو اقترب منهم فاشتبكوا معهم ورجعوا سالمين، وقد كان أبو ضمضم يحمل معه كيس تمر في خلف الجعبة العسكرية التي كان يرتديها وقت العملية، فلما رجعوا من هذه العملية أرادوا أن يأكلوا من هذا التمر، فأخرجه أبو ضمضم وإذا به يجد طلقة نارية قد غُرست في وسط التمر!.

أبو ضمضم والإمارة!:

غالباً لم يكن هناك أحد أحق بالإمارة من أبي ضمضم في المجموعات الفرعية التي كان معها. فهو أقدمهم وأعرفهم بالمناطق وبالعلوم العسكرية. علاوة على أنه كان نشطًا في تنسيق الأمور الإدارية لمجموعته. حيث كان ناجحاً وماهراً في الإدارة العسكرية والإدارة اللوجستية. ولكنه مع هذا لم يكن أميراً حتى على مجموعات صغيرة!. لم يكن هذا إلا رغبة منه نفسه. وإلا فالكل يريده أميراً عليه. إلا أنه قد اشترط على أمير المجموعة أن لا يجعله أميراً على أي مجموعة فرعية ولا نائباً لأميرها!. كيف تفعل هذا يا أبا ضمضم في وقت يتقاتل فيه الناس على المناصب و الكراسي والألقاب الزائفة؟!. أي زهد هذا وأي تواضع قد غُرس في قلبك؟

الوداع:

لو سألت أي مجاهد صادق عن أغلى أمنية تتمناها؟ يقول لك مباشرة من غير أي تردد: الشهادة في سبيل الله!. وكيف لا؟ وفيها غفران الذنوب عند أول قطرة من دمه!. ويرى فيها مقعده من الجنة. ويحلى حلة الإيمان. ويزوج باثنتين وسبعين من حور العين. ويجار فيها من عذاب القبر. ويأمن من الفزع الأكبر. ويوضع على رأسه تاج الوقار الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها!. ويشفع في سبعين إنسانًا من أهل بيته. فكيف لا تكون بعد هذا أغلى أمنية؟ وكيف يريد منا المخذلون والمرجفون أن لا نطير شوقا إليها؟!

وهكذا كانت أمنية أبي ضمضم. وزاده فراق أحبته في درب الجهاد شوقاً على شوق! وهذا الشوق هو من نعم الله علينا. فدم الشهيد نور ونار. فعندما يقتل الأحبة نتمنى أن نلحقهم ونفوز بما فازوا. وهكذا كانت أمنية أبي ضمضم ومبتغاه. وبعد هذه المسيرة الطويلة المليئة بالابتلاءات وبالغربة ودَّعنا عبد الله ليلحق بالأحبة محمد -صلى الله عليه وسلم- وصحبه -نحسبه والله حسيبه- وإنا لله وإنا إليه راجعون.

مالي وللسَّرّاءِ بعدَ مَعاشِرٍ ** صَدَقُوا هـوًى فَتَقَارَبُوا آجَالاَ
زُهْـرٌ أوَدِّعُ كـلَّ يوم منهمُ ** قَمـَراً وَأُودِعُ فِي الصَّعِيدِ هِلاَلاَ
إخْـوَانُ صِدْقٍ شَرَّدُوا بِفِرَاقِهِمْ ** نَوْمِي وَكَانُوا لِلسُّرُورِ عِقَالاَ
كَانُوا الأُسُودَ مَهَابَةً وَحَمِيَّةً ** وَالسُّحْبَ جُوداً وَالْبُدُورَ كَمَالاَ

الوصية:

ومعي الآن وصيته بخطه. وسأنقل بعض ما جاء فيها:

(فالله الله النصرة النصرة بالنفس والمال والدعاء وبكل ما يستطاع. فالمجاهدون هم طليعة الأمة وأملها وفجرها الذي يرتقبه كل إنسان فكونوا رحمكم الله من الطليعة والركب)

(وأما والداي فلا تحزنا عليَ. فلكم وددت أن أبقى عندكم أبركم وأغسل الأذى عن أقدامكم لكن القضية أكبر إنه الله رب العالمين وإنها جنة الفردوس فسامحوني كثيرا وادعوا لي بالرضى والقبول. ولا تقيموا عزاء أبدا بل استبشروا وافرحوا. أسأل الله أن يحسن لكم الختام. وأن يجمعنا في الفردوس الأعلى)

(وأما أنتم يا إخواني وأحبائي فالله يعلم كم لكم في قلبي من الحب. فعليكم ببر والديّ. والتآلف فيما بينكم والاجتماع. والتغاضي عن الأخطاء. وعليكم بالجهاد فإنه والله الحياة السعيدة وسبيل مختصر للجنان. أسأل الله أن يثبتكم ويصلح أحوالكم وأزواجكم وذراريكم)

(أما أنتم يا خير البشر فجزاكم الله خير الجزاء عن أمة الإسلام. فعليكم يا أحبائي بالسمع والطاعة ولزوم الجماعة والصبر والتذلل للإخوان والإقدام والتفاني في الإثخان في أعداء الله وحب الشهادة وتمنيها والإيثار والصدق وسلامة الصدر. وأمر آخر فكل إنسان ميسر لعمل. فمن كان في الساقة كان في الساقة. ومن كان في الحراسة كان في الحراسة فلم السخط والضجر؟)

(وأطلب من كل أخ في ساحة خراسان أن يسامحني ويدعو لي بالرضى والقبول ونيل أعلى مراتب الشهداء)

تقبله الله ورضي عنه ورزقه أعلى منازل الشهداء.

أبو العباس الثقفي

فايز السفياني، الحافظ لكتاب الله، الحافظ للصحيحين، والله إنها لتعروني الهيبة عندما أكتب عن أمثالك، ماذا سأصف للناس؟ وهل أستطيع أن أبين لهم شيئاً من أخلاقك؟ من أين جئت يا أبا العباس ؟ أحقاً يولد أمثالك في زمننا هذا؟ والله إنها لبشرى أن أرحام النساء ما عقمن بعد من إخراج الرجال الأبطال أمثالك! ما أحلمك وما أطيبك! لو أراد من أراد أن يقلب بصره ليرى فيك من أخلاق سيئة وأرجع بصره كرتين ليرى منك هذا لانقلب إليه بصره خاسئاً وهو حسير..! حاشا لله ما علمنا عليك من سوء أيها الحبيب.

اعتلى أبو العباس قمة الأخلاق وطار في سمائها وثبت فيها محلقاً حتى توفاه الله. لو رأيته وجلست معه لتقول في نفسك ما أظن أن هذا الشخص قد آذى مسلماً في حياته!، وإني والله لأحسب أن قول نبينا الكريم -صلى الله عليه وسلم- يصدق فيه عندما قال: «إنما تحرم النار على كل هين لين قريب سهل».

كريم السجايا وهل يلد ** الكريم المهذّب إلا الكريم

«فايز» متزوج وله ابنين وبنت، لكن هل هذا يثني أهل الإيمان والصدق عن الاستجابة لقول الله تعالى «انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ » ؟، وما كان هذا ليصده عن الاقتداء بأجداده الصحابة الذين طلقوا الدنيا ومتاعها وتركوا ديارهم وأبناءهم استجابة لأمر الله سبحانه وتعالى ورسوله الكريم صلى الله عليه وسلم، وكيف يؤثر متاع الدنيا على الجهاد في سبيل الله وقد توعد الله تعالى من فعل هذا بالعقاب والنكال؟ قال الحافظ ابن كثير: أمر الله تعالى رسوله أن يتوعد من آثر أهله وقرابته وعشيرته على الله وعلى رسوله وجهاد في سبيله، فقال: (قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا) أي: اكتسبتموها وحصلتموها (وَتِجَارَةٌ

تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا) أي: تحبونها لطيبها وحسنها، أي: إن كانت هذه الأشياء (أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا) أي: فانتظروا ماذا يحل بكم من عقابه ونكاله بكم؛ ولهذا قال: (حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ) اهـ.

أراد «فايز» أن يهاجر في سبيل الله ويُقتل شهيداً ليفوز في الآخرة، ولكنه لم يكن لديه جواز سفر لتحقيق هذه الأمنية العظيمة، ولقد كان ذلك عذراً مقبولا لقعوده لو أراد أن يتخذه عذراً، خاصة في زمن يتخذ الناس فيه أعذاراً أقبح من ذنبهم في قعودهم عن نصرة الإسلام والمسلمين، بل إن بعضهم يجعل الطعن في المجاهدين من أسباب هذا القعود! «وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ».

كان سبب سحب الحكومة السعودية لجواز سفره هو الرغبة في الجهاد في سبيل الله! والدفاع عن المسلمين في العراق، فحينما سمع أبو العباس بالغزو الأمريكي للعراق هب لنصرة إخوانه المسلمين هناك في بداية الغزو حتى إنه ومن معه يسابقون الأمريكان في وصولهم لساحة النزال -فلله درهم-!، وبمثل هؤلاء ستدين الروم والفرس للمسلمين، بهؤلاء الذين يعشقون الموت كما يعشق أعداؤهم الحياة، بهؤلاء الذين لا تطيب لهم حياة مليئة بالملذات إذا نطق مسلم في أقصى الغرب بالآهات!. دخل أبو العباس العراق وقضى فيها وقتاً هناك ثم آل به الوقت ليبقى في زنازين الحكومة السعودية جزاء على نصرته للمسلمين، ثم منَّ الله عليه بالخروج من سجون الظلم مع سحب جوازه كي لا ينفر لجهاد أعداء الله، وكي لا يثأر لدين ربه، كل هذا لترضى أمريكا عن حكام آل سعود.

فماذا سيفعل أبو العباس مع قلبه الذي يتقطع شوقاً للجهاد في سبيل الله!، هل سيكتفي بالبكاء والدموع عندما يرى مآسي المسلمين هنا وهناك؟!، ماذا سيكون حال أبي العباس لو كان موجوداً في بيته في الوقت الذي يقتل فيه المسلمون في تركستان الشرقية؟ وكيف يكون حاله عندما يرى مجازر الصليبيين في المسلمين

في نيجيريا وهو مع الخوالف؟! يا ليت شعري كيف سيكون حاله عندما يسمع عن كاميليا وأخواتها ولا يحرك ساكناً!؟. لم يكن أبو العباس مستعدًا لأن يرى كل هذا وهو في بيته رغم ما عنده من عذر!. لكنه قرر أن يركب المخاطر، ويسلك أصعب الطرق وأخطرها ليصل إلى أرض الجهاد. وفعلاً وبعد الصدق مع الله سبحانه وتعالى يسر الله لشهيدنا الوصول إلى ساحات الجهاد من غير جواز سفر.

يا رافعي علمَ الجهادِ تقدموا ** ودعوا صفوفَ المحجمين وراء
خوضوا الكريهةَ حاسرين فإن طغت ** لجج الملاحمِ فاركبوا الأشلاء
لستم بني الشهداءِ بورك عهدهم ** حتى تكونوا مثلهم شهداء

لن أنسى الأيام الطيبة التي كنا فيها سوية في مسيرة التدريب فكان نعم الأخ الكبير الناصح والشفيق، نعم المجاهد الصابر والمحتسب. ومن بين الدورات التي أخذها أبو العباس وتميز فيها، دورة في الإسعافات الطبية، والتي كان يعطيها الدكتور أبو عبد الرحمن بدر المكي -تقبله الله- ذاك الدكتور الذي طلق الدنيا بزينتها وزخرفها ليساعد إخوانه المجاهدين ويطببهم. واستفاد «فايز» من دورة الدكتور أبي عبد الرحمن فأفاد بعدها إخوانه الجرحى والمرضى.

فلما أُصيب الأخ أبو بشير النجدي[1] -تقبله الله- كان أخونا أبو العباس يرعاه في فترة إصابته ويعمل له ما يلزم من الأمور الطبية والعلاجية بطيبة نفس وباحتساب للأجر، ثم لما شارك أبو العباس في بعض العمليات القتالية كان يطبب إخوانه المجاهدين ويخيط جروحهم ويداويها. وهكذا يعلمنا «فايز» درساً في العمل بالعلم ولو كان يسيراً فقد بارك الله في عمله.

سألته ذات مرة فقلت له: هل تحفظ الصحيحين؟ فرد بغضب: من أخبرك بهذا؟!، وكذا كان عندما يسأله أحد عن حفظه للقرآن، فكان يخشى أن يظهر عمله هذا.

١-كان من قصته أنه كان مسجوناً في العراق فلما علم أحد الأنصار الشجعان بأسره جاء ليدخل مكانه في الأسر على أن يخرج صاحبنا أبو بشير عبد الله القحطاني، وكانت كنية الأنصاري «أبو بشير» وقد خرج في أحد إصدارات مؤسسة الفرقان بعد مقتله -رحمه الله-.

وهذا ما كان عليه السلف الصالح من إخفاء الأعمال خشية الرياء والسُمعة.

لقد كنت فرحا بوجود أخ لي ناصح وعاقل مثل أبي العباس في ساحة الجهاد، حيث كان من القلة الباقين من أصحابنا في المسيرة التدريبية، ولكن شاء الله أن يتخذه عنده، فرحل أبو العباس ولكن بقي حبه في قلبي وقلوب إخوانه المجاهدين، وهذا الحب بإذن الله سيكون سبباً في أن يظلنا الله بظله يوم لا ظل إلا ظله، في يوم تدنو الشمس من الناس قدر ميل، وأسأل الله أن يجمعني به في الفردوس الأعلى عاجلاً غير آجل.

ولقد مضوا وأنا الحبيب إليهم ... وهمُ لديَّ أحبة أبرار
قدَرٌ يخلفني ويمضيهم به ... يا لهفَ كيف يفوتني المقدار ؟

يقول الشيخ أبو قتادة الفلسطيني -فك الله أسره- وهو يتكلم عن أهل الجهاد: «فبالله عليكم ألا يستحقون هؤلاء المحبة من الله عز وجل والتأييد؟ إنه عندما يقبضهم إليه يقبضهم غيرة عليهم أن هذا الدُرَّ الثمين يعيش في هذا الزمن!. زمن الرويبضة، زمن التخاذل ...» اهـ.

ولقد كان مقتله مع حبيبه وحبيبنا أبي ضمضم القرشي في ولاية «كنر» الأفغانية، فرحمهما الله، وُلدا في الطائف وقُتلا في كُنَر الأفغان نصرة لدين الله عز وجل ورغبة فيما عنده من النعيم الخالد.

أَخَوَان في ذات الإله كلاكما ** نصر الكتابَ وجاهد الكفارا
تركوا المنازلَ والديارَ فأصبحوا ** سكنوا الخلود منازلاً وديارا

بسمت ثغور في رثاء أبي دجانة الخراساني

أبو عصام الأندلسي

نسَماتُ روْضٍ تنْثرُ البُشْرَى شَذَىً ** تَزْهُو وفيهَا للْورُودِ تبَسُّمُ
يعلو الْفَراشُ غُصُونَها بِتأنُّقٍ ** وكأنّما منْ فوْقِها هي أنْجُمُ
طَبعتْ بِقلْبي بهجةً ومَسَرَّةً ** وكسَتْ فُؤَادي نفحةً تُتَنَسَّمُ
يا طَلْعةً تهْوَى النَّواظرُ حُسْنَها ** تشْفي الصُّدورَ وبالبشارة تُوسمُ
أعلِمْتُمُ بسحابةٍ تهْمي ندىً ** تُهْدي أكاليلَ السُّرورِ وتُنْعِمُ
فلقدْ جلسْتُ لها جُلوسَ مُتَيَّمٍ ** لحديثها تَرْوي صَنيعاً يُرْسَمُ
سعِدتْ مطَالعُنا بأَنْدَى وافِدٍ ** أمْسى يُمَزِّقُ في الْعِدَى ويُخرِّمُ
ذَاك النَّدِيُّ هو الْهزبْرُ أبو دُجا ** نةَ قدْ سَما فخراً وعِزّاً ينْجُمُ
بسَمتْ ثُغورٌ طَالما تاقَتْ لهُ ** وغزا كما يغْزُو الخميسُ الأضْخمُ
وتلألأَتْ غُررُ الْبشائرِ عِنْدما ** أذكى بِسَاحِ الرُّومِ ناراً تُضْرَمُ
واجْتَاحَهُم في بغْتةٍ أبْقتْ لهُمْ ** أثراً على مرّ اللّيالي يُؤْلمُ
للّٰه درُّ أبي دجانة إنه ** أغنى غَناء الجيشِ وهْوَ عرمرمُ
حَيَّ الإلهُ هُمَاماً الْبَلَوِيّ إذْ ** رِكبَ المهَالِكَ رغْبَةً لايُحْجِمُ
جاشتْ حميَّتهُ وقامَ برُوحِهِ ** دُون الْحبيبِ يذُودُ عنْهُ ويُقدمُ
أقْرى الصَّليبَ وحزْبَه في ساحةٍ ** ضجَّتْ مآتمُ أهلهِ وتيتموا

لاغـرْوَ إنْ قلَـبَ الجَـــنَّ وصَادَهــمْ ** فاللَّيـثُ إن يرَخَصْمَـــهُ يـتـهـجَّـمُ
سَـلِمتْ يدُ الضِّرْغامِ مَا لانتْ قنَـــا ** ةُ فُـؤَادِهِ أَبَـداً وَلـــمْ يتْبعْـــهُـمُ
إنَّ الَّــذي يسْـعى ليُرضـــخ ضَيْغَماً ** فكأنَّمــا هــو فــي منـامٍ يَحْلُـــمُ
وإذا الْبهائـمُ في الأكُـفِّ لجامُـــها ** فالأسْدُ تــحكــمُ غيرهـا لا تُـلـجَـمُ
خُدِعوا بداهيــةٍ يَعِـــزُّ نظـيــرهـا ** لَـوْلا صَرَامَـةُ دينِـهِ لَتحكَّمُـواْ
رُجمُواْ بشُهْبٍ فَـحَّمتْ أجْســادَهُم ** وكأنَّـهُ البُرْكـانُ إذْ هـو يــهـــجـمُ
تبّـتْ يـدَا بَـاغٍ تَسَـلَّلَ كَيـــدُهُ ** يبْغـي الكِـرامَ فَبئْسَـمَا يَتَوهَّـمُ
رامَ الْخِيانـةَ مــــن أمـينٍ مخْلـــصٍ ** مَـنْ رامَ للسَّـمعِ اسْـتِرَاقاً يُرْجَـــمُ
تعـسـاً لمن فــي الغدْر غـاصَ يظُنُّهُ ** دُرّاً فـلاقـــى أصـدفـاً لا تُـفـصـمُ
مـنْ ظَـنَّ أنَّ الأُسْـدَ تفْـرِسُ مِثْلَها ** فكأنَّمـا يرْجـو المُحَـالَ فَيَسْـــأَمُ
مـنْ ظـنَّ أنَّ النَّجْـمَ يُمْكـنُ لَمْسُـــهُ ** طلب العسـيرَ وهل هنالك سُلَّـــمُ
وإذا تيمَّـمّ صَـارِمٌ غِمْـــداً لــهُ ** فالْغِمْدُ يَحْضُنُ سَيْفَهُ لا يُقْصَـــمُ
ومتى يُسَـلُّ يُسَـلُّ فتْـكاً بالْعِـدى ** ومتـى يُفَـلُّ يُفَـلُّ وهْـوَ مُصَـمِّـمُ
بِكُـمُ أبـا ليْلـى تحقَّقَـتِ المُنــى ** وتجَـرَّعَ الْكُفْـرُ النَّدامَـةَ منْكُـمُ
ونقشْـــتُمُ بــدم عبيـطٍ مجْــدَنا ** يبْقـى بقـــاءَ الدَّهـر لا يتَصَـــرَّمُ
وبذلْتُـمُ نفْسـاً تمنَّيْتُـــمْ لَـوَانَّ ** نَ لهـا رجوعـاً آخــراً تتقَحَّـمُ
أعْظِـمْ بها مــن جنَّة فـزتـم بــهـا ** أربـــح بهـا مــن صـفقـة لا تغْـرمُ
الحـــور صعـب أن تُنــال ومـــهرها ** بــذل الدمـاء وذاك مهـر يَعظُـــمُ
فانعـم بخاتـمة وليــس يـــحوزها ** إلَّا امْـرؤٌ يأْتـي الصِّعَـابَ وَيَلْـزَمُ
واظفـر بِفـرْدَوسِ الجِنَـانِ وحُورَهَـا ** واهْنَأْ بهـا فهْـــي النَّعيـمُ الأَدْوَمُ

يا شعبنا المسلم في ليبيا:

(اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ) فما بقي في هذه الحياة شيئًا تخافون عليه بعدما أفسد عليكم هذا الطاغية دينكم ودنياكم، وجعلكم حقل تجارب أفكاره الفاسدة، وأهلككم جماعاتٍ وأفرادًا، وعاث في أعراضكم وأموالكم، ومزّقكم كل ممزق ؛ فلا نجاة لكم من هذا الجحيم المتواصل إلا بالعودة إلى دينكم حقًا، ونزع الجبن والخور والوهن، الذي سيطر على قلوبكم عقودًا، والوقوف بجانب أبنائكم الذين قبلوا أن يكونوا وقود معركة ؛ أولها صبر وإصرار، وآخرها تمكين ونصر (وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللهِ العَزِيزِ الحَكِيمِ)، (ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ).

الشيخ أبو الليث الليبي -رحمه الله-